

مجلة

الشؤون والاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية



مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة

طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٤٣

فهرس العدد

صفحة	
٣	مشاكل مصر الاجتماعية فؤاد سراج الدين باشا
١١	النشاط الاجتماعي للدولة
١٥	نهضة مصر الصناعية الدكتور حافظ عفيفي باشا
١٩	النهر المتعطل
٢٤	وظيفة الفن والصحافة الأستاذ سيد قطب
٢٩	علاج الفراغ عند المراهقين الأستاذ صلاح الدين الشريف
٣٣	مراثم الآباء الكاتبة زينب محمد حسين
٣٨	الحياة عادة
٤٤	الانتفاع بالعتل الأستاذ صلاح الدين الأيوبي
٤٨	ملاحظات عابرة
٥١	بين ملائكة الرحمة الأستاذ محمد عبد الكريم
٥٨	الهجرة من جنوب الدلتا إلى شمالها » عريان يوسف سعد
٦١	أثر الفرد في الحياة الاجتماعية » ابراهيم القطر زيفي
٦٤	مكتب البحوث الفنية بيروكسل » رشاد محمد محبوب
٦٨	الزوجة الصالحة الأستاذ عيسى منول
٧١	نيمة (قصة اجتماعية) بقلم سميرم

مشاكل مصر الاجتماعية ووسائل علاجها

لحضرة صاحب المعالي فؤاد سراج الدين باشا

وزير الشؤون الاجتماعية

” بهذه المحاضرة القيمة افتتح حضرة صاحب المعالي فؤاد سراج الدين باشا الموسم الأول للمحاضرات العامة بقاعة بورت الذكارية بالجامعة الأمريكية في الثاني عشر من الشهر الماضي ، فكانت خير فاتحة للموسم الثقافي هذا العام “ ما

أيها السادة :

تحياتي الى هذه الدار ، والى القائمين عليها من رسل العلم والحضارة ، وحاملى وحى العالم الجديد الى العالم القديم ، أولئك الذين هبطوا مصر ضيوفا عليها أول الأمر ، فاذا مصر ضيف على علمهم وثقافتهم ، وستظل ترشف من معينهم ، وتضم الى مجد ماضيها مجد حاضرهم ، ويتبأ لها من ذلك الماضى وهذا الحاضر مستقبل مشرق منير باذن الله .

هذه الجامعة لم تقصر علمها على طلابها ولم تحبس فضلها بين جدرانها ، بل جعلت منذ عشرين تاما أو تزيد ، ترسل أضواءها فى آفاق مصر ، بل فى آفاق الشرق كله ، بما يلقى فيها من محاضرات خاصة وعامة ، تتسابق فيها العقول والألسنة ، وبما تقيم من رحلات ، وبما تعرض من أفلام سينمائية وبغير ذلك من وسائل التثقيف والتهديب .

ورأت هذه الجامعة أنها تقوم فى مجتمع مصرى ، فرتبت على نفسها حقا لهذا المجتمع ، وجدت فى خدمته ، اذ هيأت للباحثين الاجتماعيين فرص البحث فى عاله وفى وسائل علاجها .

سائق :

من المعلوم أن أكثر شروخ الحرب تجمىء فى أعقابها وأن من خواص الحروب أنها تزعزع قواعد العرف والتقاليد ، ومعنى هذا أننا مقبلون على تغيير شامل فى جميع أوضاع الحياة وأساليبها ، ولاشك أن العالم بعد أن يضمم ما تركت هذه الحرب فى جسمه من جراح ، سيشهد أكبر انقلاب اجتماعى واقتصادى وسياسى حدث فى تاريخه كله ، فمن الواجب علينا — حكومة وشعبا — أن نعد لهذا الانقلاب عدته ، حتى لا نتفاجئنا بالحوادث دون أهبة ولا استعداد .

وانى لمستبشر غاية الاستبشار ، اذ أرى عيونا كثيرة قد انقبت ، وعقولا كثيرة قد أخذت تفكرفيا تواجه به الغد القريب .

وأمامنا أيها السادة مهام وتبعات جسام ، منها ما هو مصرى بحت ، ومنها ما هو شرق ، ومنها ما هو عالمي ، وعلينا أن نستعد لها جميعا بحزم وعزم وقوة وثبات ، بل إنى لا أغالى اذا قلت ان هذه المهام والتبعات تقتضى منا أن نهي قوى الشعب جميعه .

إلا أننا لا نستطيع أن نتم هذه التعبئة على وجه صحيح ، ما لم ندأو عالمنا الاجتماعية ، لأن النهوض بالأمم اقتصاديا وسياسيا لا يتم حتى يكون أساسها الاجتماعي قويا وسلطيا ، فمثل من يبنى نهضة اقتصادية أو سياسية دون التفات إلى الناحية الاجتماعية كمثل من يقيم بيته على الرمال أما تبعاتنا الشرقية والعالمية ، فلا تقل شأننا عن تبعاتنا المصرية ، فمصر باعتبارها عاصمة الشرق الأوسط ، قد نالت بفضل حكومتها الساهرة على خيرها مركزا ممتازا بين أمم الشرق بوجه عام ، وأمم العروبة بوجه خاص ، فعلى مصر أن تثبت لجيرانها أنها أدل لهذا المركز الممتاز ، وأن تذكر دائما أن صراع الميدان الدامى سيعقبه صراع آخر عنيف شديد ولو أنه هادئ صامت ، السلاح فيه هو العلم لا المدفع وثمرات النصر فيه ، هي الطمانينة والغزة ، وما دام البقاء في هذه الدنيا للأصلح ، فنحن نريد أن تكون لنا الصلاحية والبقاء . والسبيل إلى هذه الغاية هي تلافى كل ما فى حياتنا الاجتماعية ومداواة كل ما يشكوه جسم الوطن من عائل ، وهذا هو موضوع بحثنا اليوم .

سادق :

عندى أن العوز هو العلة الكبرى ، وهو التعبير الذى تلخص فيه عالمنا جميعا ، فالفقر والحاجة هما العوز إلى المال ، والأمية والجهل هما العوز إلى العلم ، وسقم الأجسام وضعفها هما العوز إلى الصحة ، وكل ما فى دنيانا من نكبات إنما هو فروع من هذا العوز الثلاثى الأركان ، يدخل فى ذلك ، التشرذم ، والإجرام ، وانحلال الحياة العائلية ، وانتشار العطالة أو كثرتها فى صفوف الشباب والعمال وكل ما يشكوه منه الشاكون ويألم لوجوده المصلحون العاملون . فاننا إذا رجعنا للإحصاءات وجدنا اثني عشر مليوناً من المصريين على الأقل لا يصلون إلى حد الكفاية فى المعيشة ، من ناحية مستوى الطعام أو اللباس أو السكنى ، ومن ناحية المستوى الصحى ، ومن ناحية المستوى الثقافى أيضا .

وهذا العوز سواء كان ماليا أو صحيا أو ثقافيا يعوق سير المجتمع المصرى إلى الأمام ، ويمنع التعبئة الكاملة التى يجب أن نهيتها من اليوم استعدادا للأحداث المقبلة .

يجب إذن أن يتجه الإصلاح الاجتماعى إلى تحقيق الكفاية لكل فرد ، وإلى مقاومة هذا العوز فى شتى نواحيه .

يجب أن ينال كل فرد حقه من الغذاء واللباس والسكن والرعاية الصحية ، كما يجب أن ينال قسطا مناسباً من التعليم والتدريب . وطريق ذلك أن نسعى - حكومة وشعباً - إلى زيادة مواردنا القومية ، ليزيد تبعاً لها دخل الفرد ، فنحسن حاله .

لدينا مساحات واسعة من الأراضي البور ، والأراضي المستصلحة ، وكلا الوعين لا يصعب استغلاله والاستفادة منه ، ولدينا مشروع خزان أسوان ، ومشروعات الري والصرف الكبرى ، ولدينا الصناعات الزراعية ، ولدينا الصناعات التي بدأت تنمو وتترعرع في سنى الحرب الأخيرة ، ولدينا ثرواتنا المعدنية والمائية ولدينا غير ذلك من المشروعات الزراعية الاقتصادية التي لو أحسن استغلالها وأحسن رعايتها لزادت موارد الشعب زيادة كبيرة ، ولقدضينا بذلك على أهم مشكلة اجتماعية . . . وهي الفقر .

أيها السادة : يسرفني أن أقول لكم أن حكومة الشعب مهتمة بهذا كله أبلغ اهتمام وهي عاملة على أن تكون الديمقراطية في مصر ، قولاً وعملاً ، متأصلة في كل نفس متغلغلة في كل قلب يحسها الغنى من تلقاء نفسه فلا يظنى ، ويراها الفقير فيطمئن ويهدأ ، وهي جاهدة في خلق نظام تشجع فيه البلاد بالمساواة قدر المستطاع ، وتدرك منه الطبقات المختلفة أن التباعد بينها ليس كبيراً وأن الحياة في مصر ليست بشاقة كلها على أناس ، بينما هي سهلة على آخرين ، فلا يصل واحد إلى التخمرة وإلى جانبه فقير يتضور جوعاً ، ولا يجيأ إنسان حياة القرف وغيره يقامى بؤس الحياة ألواناً .

فتحن أيها السادة نبغى لمصر حياة متناسقة متعاونة يشد بعضها بعضاً فترى كل طائفة من طوائفها تأخذ حقيقتها وتعطى ما عليها ، فلا بطمع اقوى في ضعيف ولا لغنى في فقير ، ولا مستغن في محتاج ، بل يدرك الكل واجبه ويقيم عند حده ويعيش عيشة الهدوء والاستقرار . بهذا تستطيع مصر أن تسير التطور المنتظر وتخرج مما يواجهها من مشاكل الحرب سليمة قادرة على النهوض بحاجات الزمن ومقتضيات الأحوال .

أما أن نحاول كما يظن البعض رفع مستوى الشعب بالحد من نموه وتناوله فهو قول يجرمه ديننا وتآباه عقولنا .

نشرت مجلة La Révue du Caire سنة ١٩٤١ مقالاً لأحد مديري البنوك في مصر ، جاء فيه : " لا مفر لنا من أن نختار أحد أمرين اثنين لا ثالث لهما فإما أن نعمل على إصلاح حالة الشعب بوقف نموه وإما أن نترك له الحبل على الغارب ، لينمو ويعيش في مستوى يزداد انحطاطاً كلما كثر عدده " لا شك أن في هذا القول إمبراواً وتساؤلاً لأن صاحبه يستصعب مهمة الإصلاح ويرى أنها تزداد عمراً كلما تكاثرت عدد الشعب . وإنى أخالفه كل المخالفة ، وأرى أن كثرة الدليل لا تكون نتيجة لكثرة العدد إلا إذا نشى الفقر وعمت

البطالة كأثر لانعدام الموارد الطبيعية للأمة، أما في بلد كعصر حيث لازالت الثروات الطبيعية
بكرًا لم تستغل، فإن الأمر يكون على النقيض .

بل عندي أن كثرة العدد تجعل أمر الإصلاح أسهل وأيسر، لأن هذا العدد كلما تزايد،
تزايدت الأيدي التي تعمل، والعقول التي تدبر وتفكر، وهما نحن أولاء نرى أن زعيمتي العالم
في العهد الحاضر، أعني بهما بريطانيا والولايات المتحدة، هما أحسن الأمم نظاما وأرقاها
مستوى اجتماعيا مع أن عدد السكان في كليهما ضخم بلا مرء، وكلما تزايدت ازدادت الأمان
نظاما وإنتاجا وحضارة وعظمة، ولعل في هذا دليلا جديدا على أنه إذا وجد حول الحكومة
شعب كثير العدد كثير التفكير والعمل قام على هذا التعاون صرح نهضة اجتماعية عظيمة .
ومن هنا نرى بعض الأمم الراقية تسمى يجد إلى زيادة النسل، لا إلى تقليده، وتشجع الناس
على ذلك بالمكافآت والإعفاء من الضرائب، وبكثير من الامتيازات والمساعدات، أي أنها
تشجع الزيادة لا النقص، والنماء لا الفناء، والحياة لا الموت .

ولكى تروا كيف يكون نصيب الشعوب الناهضة من الإصلاح أذكر لحضراتكم أن
الحكومة الانجليزية لم تنشئ مستشفى واحدا في أي عهد في تاريخ إنجلترا، وما هذه المستشفيات
المنتشرة في تلك البلاد إلا عمل أفراد وجماعات، وكذلك هذه الجامعات الضخمة والمدارس
الكبيرة إنما أنشئت بأموال الجماعات والأفراد، وهناك في إنجلترا بعض المؤسسات الاجتماعية
الشعبية، كبيوت برنارد التي تتولى جمع الاعانات في الأعياد والمواهم، وقد استطاعت
هذه البيوت أن ترسل إلى المستعمرات الانجليزية نحو ثلاثين ألفا من هؤلاء الأطفال،
فأصبحوا بفضلها رجالا يرفعون علم الامبراطورية في جميع بقاع العالم .

وزارة المعارف الانجليزية لم تنشأ إلا في سنة ١٨٩٩ أي أن عمرها لا يزيد على ٤٤ سنة
بينما التعليم في إنجلترا أقدم من ذلك بنات السنين .

وفي سنة ١٨٦٥ كون القس وليام بوث "جيش الخلاص" لمحاربة الجرائم ومقاومة
الزبيلة في الأحياء الفقيرة في لندن، ولهداية الضالين والغاوين إلى الصراط المستقيم، وذلك
بالارشاد والرفق وتيسير سبل الحياة القويمة، أسس هذا الجيش "بيوت السجن" ليلجئ
إليها الخارجين من السجون كما أسس البيوت الصناعية يهيئ فيها العمل الشريف للعدد
العظيم من الرجال والنساء، وأسس بيوتا للأومة والطفولة .

وفي البلاد الأمريكية اليوم عدد لا يحصى من الجمعيات الخيرية التي تعمل لرخاء
الشعب ورفاهيته .

وما لنا نتمس الخلل من الأمم العصرية وحدها ؟

ان الدول الاسلامية المتعاقية، منذ انبثق فجر الاسلام على الكون، لم تكن لها مدارس
ولا جامعات منظمة، ولا وزارات للمعارف، وإنما كانت مدارسها وجامعاتها هي الحلقات

المضروبة حول عالم من العلماء ، أرباح من الباحثين ، أى أن المنتقذين من الشعب هم الذين كانوا يعلمون الشعب ، وهم الذين لقنوه علوم الدين والفلسفة واللغة والرياضيات والفلك وغير ذلك مما قامت عليه النهضة الإسلامية المتتالية .

بهذا وبغيره من الجهود المبذولة لإسعاد الشعب وإعلاء شأنه بلغت هذه الدول ما بلغت من سمو ورفعة ، وشغلت في أرمح العلم والمدنية أشرف مكان .

سادتي

ان روح التعاطف والحدب على الضعفاء قوية في الشعب المصرى ، غرسها فيه دينه السمح وتقاليده الكريمة ، فما شاع نبأ عن مأساة من أى نوع الا تحركت في القادرين النخوة ، وبدا السخاء في أحسن صورة .

وما دمتنا قد عقدنا العزم على أن نستعد حكومة وشعبا للأحداث التي تجرى سراعا في أيامنا هذه ، حتى لا تؤخذ بها بقمة ، أو تفاجئنا حيث نحن في منتصف الطريق ، فعلىنا أن نعد العدة وتتخذ الأهبة ، علينا أن نسمى لإصلاح المجتمع المصرى من أساسه ، وما دامت الأسرة كما هو معلوم لخصراتكم هي أساس كل مجتمع بل هي المجتمع في صورة مصفرة ، فكل إصلاح للأسرة المصرية هو إصلاح ونهوض بالمجتمع المصرى

لذلك كان من واجب المصالح الاجتماعى في مصر أن يخصص شئون الأسرة المصرية بوافر العناية والاهتمام .

علينا أولا أن نشجع تكوين الأسر ، وبعبارة أوضح أن نحارب الإعراض عن الزواج وذلك في رأى يكون تخفيف مسؤولية الحياة الزوجية وما تتطلبه من نفقات كثيرة ، كأن تساعد الأسر ذات الأبناء تمكينها لها من النهوض بأعبائها مقتدين في ذلك بما تتبعه معظم الدول المتحضرة التي تمنح الأسر الكبيرة من الميزات ما يتناسب مع عدد أفرادها .

وعلىنا ثانيا أن نعمل على توطيد العلاقات بين الزوجين على أساس وطيد من الاستقرار بتقييد الزواج بأكثر من واحدة ، وتقييد حق إيقاع الطلاق ، لأن شريعتنا السمحة وان أباححت التزوج بأكثر من واحدة لمصالح هامة وأغراض سامية فانها لم تبعه الا للقادرين المنصفين ، وحيث لا يخفى الجور أو الضرر ، كما أصرنا الله تعالى بوجود الصبر والأناة قبل إيقاع الطلاق ، عسى أن تتقارب القلوب المتنافرة ، وتهدأ النفوس الثائرة .

لهذا وضعت الوزارة تشريعا يوجب استئذان القاضى قبل إيقاع الطلاق ، كما يقيد هذا التشريع تعدد الزوجات فلا يبيحه الا بشروط معينة .

ولما كان انتشار البغاء بنوعيه من أسباب الاعراض عن الزواج فقد خطت الحكومة

في المدة الأخيرة خطرات واسعة في القضاء عليه ، وهي — إلى أن يصدر قانون الالغاء وهو الآن في مجلس الشيوخ — قد أصدرت الأوامر العسكرية بإغاثته في أكثر المناطق وبتشديد عقوبة من يمارس البغاء السرى أو يخوض عليه .

وعلىنا بعد ذلك أن نصون أبناء الأسرة فهم عدة الفد ، وأن نعمل على اصلاح شأنهم وأن نسعى إلى نشأتهم نشأة صالحة ، وتزويدهم بأوفر قسط من الصحة والثقافة والحلق القويم . كذلك يجب أن نحى الأسرة من أخطار القمار ، والمراهنات بأنواعها ، فهي أخطار تعصف بالثروات وتهدد كيان الأسر ، وقد عم ضررها في العهد الأخير كنتيجة للرخاء الحاضر . لهذا قد أصدرت خلال هذا الأسبوع قرارين بوصنى وزيراً للداخلية بإغلاق أكثر من عشرة أندية للقمار في العاصمة ، كما أعددتنا تشريعا في وزارة الشؤون الاجتماعية ، لحماية الأحداث من المحال العمومية ، ويحرم هذا التشريع على الأحداث الذين لم يبلغوا الحادية والعشرين دخول أندية القمار والسباق وسائر الأماكن التي تباح فيها المراهنات وما كان لمصر وحى تطمع في أن تتبوأ مكاتها في العالم المتحضر إلا أن تجارى الدول الناهضة في الأخذ بكل ما يرفع من شأن أحوالها ، ويعدهم للمستقبل الحافل بضروب النضال والكنفاح وهناك طائفة من الأحداث ، شاء القدر القاسى أن تشرد في الطرقات العامة ، وأن تتخذ من هذه الطرقات مأوى وملاذا ، وأقصد بهم الأحداث المشردين ، تلك الطائفة البائسة ، التي قضت عليها الظروف العائلية القاسية بأن تتبذ في الطرقات تقضى يومها في التسول والتهام الفضلات ، تلك الطائفة التي فيها يخرج عتاة المجرمين ، والتي تسد السجون بالأغلبية العظمى من نزلاتها ..

سادق :

يجب ألا يقل اهتمامنا بالأحداث المشردين عن اهتمامنا بأخوانهم المنعمين في دورهم وبين ذويهم ، فلهؤلاء من ظروفهم العائلية ما يحيمهم من غوائل الدهر ونوائبه ، أما المشردون فليس لهم من يرعاهم ، أو يساعدهم ، فهم في أشد الحاجة إلى اهتمام الحكومة ورعاية الهيئات الخيرية . لهذا وضعت مشروعاً ضخماً لإنشاء عدد من الملاجئ في مصر والاسكندرية ودمهنور والمحلة الكبرى في قسرى المهاجرين لإيواء أكبر عدد ممكن من هؤلاء الأحداث المشردين وتعليمهم الحرف والصناعات والقراءة والكتابة ، كما انتهت الوزارة من تعديل قانون التشرد بما يطابق روح العصر الحاضر ولن تمضى أسابيع قليلة حتى تنظر فلا ترى واحداً من هؤلاء يجوب الطرقات .

بهذا - سادق - يمكن أن نصلح الأسرة المصرية ، التي هي نواة المجتمع المصرى ، وبهذا نحقق جانباً هاماً في الإصلاح الذى ننشده لبلدنا العزيز ، وبهذا نهى جيلاً جديداً نافعا .

أيها السادة: من أول واجبات المصلح الاجتماعي في مصر أن يعير الريف المصري أوفى نصيب من العناية والاهتمام ، فبحن باهتمامنا به انما نهم بالأغلبية العظمى في هذا الشعب . وللحكومة الحاضرة في هذا الميدان مشروعات ضخمة ، كما أن اوزارة الشؤون نصيبها الأوفى في هذه المشروعات ، وما مشروع المراكز الاجتماعية ، ومشروع اصلاح القرية المصرية ، ومشروع الوحدات الصحية ، ومشروع نشر الملكيات الصغيرة عن طريق توزيع أراضي الحكومة على صغار الملاحين ، ومشروع تدعيم الحركة التعاونية ، إلا جهود قد بذلت وتبذل لرفع مستوى الفلاح ، وتعويض بعض مانتج عن اهمال شأنه أحقابا طويلة . وما دمنا — أيها السادة — بصدد الحديث عن المشروعات التي تقوم بها الوزارة أوتنوى تنفيذها لرفع مستوى الشعب اجتماعيا ، بغدير بنا ألا نغفل مكافئة الأمية .

فقد رأت الوزارة أن وصمة الجهل بأبسط أصول المعرفة يجب إن تزال ، وأن محو الجهالة من بين سواد هذا الشعب لم يعد ضربا من المحال ، لأن الثقافة هي السبيل إلى نضوج الأفراد ، ونضوج هؤلاء هو بالتالى نضوج للأمة جميعا .

فشكلت لجنة لبحث مشكلة الأمية ووضع الأسس لمحاربتها والقضاء عليها ، وقد تناولت بحث حالة الأميين ، واعددم ووسائل تعليمهم وخطط الدراسة وأما كتبها ، والمبنيات التي سيقوم على أكتافها تنفيذ المشروع ، وغير ذلك . وانتهت إلى أنه يجب تعليم كل أمى ممن تخطوا من التعليم الإلزامى القراءة والكتابة والثقافة العامة .

وسيراعى في تحديد أوقات الدراسة ظروف مختلف الطوائف وأوقات فراغهم ، وأن الوزارة لتعترم التقدم بهذا المشروع الحيوى إلى البرلمان لإقراره والبدء بتنفيذه في أقرب وقت مستطاع حتى تستأصل جذور الأمية من بين أفراد الأمة ، وحتى تثبت للأمة أن مصر أمة حية جدية بما لها من ماض مجيد .

سادتى :

هناك نوع آخر من المشا كل ينتظرنا بعد الحرب ، في مقدمتها مشكلة البطالة ، فقد أدت الحرب الحالية إلى كثير من الازدهار ووفرة الكسب لعدد كثير من الصناعات والصناع ، فلهنا صناعات نشأت بسبب الحرب ، وهناك صناعات راجت وانتشرت بسبب صعوبة الاستيراد من الخارج .

ولا شك أن بعض هذه الصناعات سيصاب بصدمة قوية عندما تضع الحرب أوزارها وتعود الحياة إلى ما كانت عليه قبلها ، وسيترتب على هذا الانكماش في الصناعة ، الامتناء عن العدد الكبير من العمال والشبان ، وبهذا ستعرض البلاد لموجة من البطالة لم يسبق لها مثل .

ويسرنى أن أذكر لحضراتكم أن الحكومة الحاضرة قد فكرت في هذا الأمر مايا وأولته ما يستحق من اهتمام وعناية ، وما زالت تعدله من الحلول ما يضمن تخفيف وطأته .

سادتي :

هذه هي أهم عللنا الاجتماعية ، وإذا كنا قد جدها في كلمة " العوز " على اختلاف صورته ، فهي كما ذكرت لحضراتكم تقتضي علاجها جنودا هائلة وعملا متصلا لا من الحكومة وحدها ، بل من الشعب قبل كل شيء ، . فما سمعنا في عصر من عصور التاريخ ، أن شعبا من الشعوب الناهضة ظل ساكنا عن إصلاح أحواله ، ملقيا هذا العبء على عاتق حكومته وحدها .

نعم إن ولي الأمر الحازم الحكيم ، ينفع شعبه أجل النفع ، لكن لا بد من أن تماسك البدان ، ويجتمع الجهدان ، والشعب يرى نفسه وأفراده أكثر مما يراهم الحاكم ، وليس معنى ذلك أن حكومة مصر تتصل من تأدية ما عليها من واجب ، فهي بحمد الله من الشعب أولا وآخرا ، وهي تستهدى بهدى ملك كريم ، تسعده سعادة رعاياه ، وتؤلمه آلامهم ، ورئيس هذه الحكومة هو زعيم هذا الشعب ، وشريك كل مصري في سرائه وضرائه ، وزملائه وأعدائه يتبعون خطاه ، فما يطبقون أن يروا في مواطنهم جائعا ولا مريضا ولا جهولا .

صحيح أن الشعب المصري الأبى الكريم ، قد بذل وببذل جهدا مشكورا في ميدان الإصلاح الاجتماعي ، فهناك المؤسسات الخيرية المختلفة التي ترعى الفقير ، وتؤوى اليتيم والمسكين ، وتعلمه الحرف والعلوم ، وهناك الهيئات الاجتماعية التي تسعى في جد وأناة لإصلاح مختلف نواحي الفساد الاجتماعي .

وصحيح أن الحكومة المصرية بدورها مهمة أشد الاهتمام بتنفيذ المشروعات الاجتماعية وامتنابا للوسائل لإسعاد طبقات الشعب على اختلاف درجاتها ودرء الشرور عنها ، كما أنها معنية بوضع سياسة ثابتة لتحيق أغراض هذا الإصلاح في القريب العاجل إن شاء الله . إلا أنه من واجبي أن أقرر في صراحة وجلاء ، أن ما يقوم به الشعب ، وما تقوم به الحكومة ، هو دون ما تحتاج إليه الأمة المصرية بكثير ، فلا بد من مضاعفة الجهود ، وبذل كل نفس ونفيس لتحقيق الإصلاح الاجتماعي المنشود حتى يقوم كيان الأمة المصرية على أجسام سليمة ، وعقول سليمة ، ونفوس سليمة .

أيها السادة :

إن أساس الإصلاح فيما أرى ، أن يشعر كل من تظله سماء مصر حاكما أو محكوما بأن في حياة مواطنيه نقصا يجب أن يستكمل ، ويرم يشعر الكل بذلك ، ويتحرك الكل لتلافيه ، فالنجاح مضمون باذن الله "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" .

فؤاد سراج الدين

النشاط الاجتماعي للدولة

- (١) التضامن الاجتماعي .
- (٢) مشروعات المستقبل لمواجهة البطالة .
- (٣) حركة التعاون .

(١)

خطب رفعة رئيس الحكومة في الاسكندرية في أواخر شهر أكتوبر بجاءت في خطاب رفعة هذه الفقرات :

” إننا منصرفون بأفكارنا و عقولنا إلى الإنشاء والتعمير ، ومواجهة ما استخلفه لنا الحرب من مشاكل ومساائل معقدة . منصرفون إلى أن تكون الديموقراطية قولا وعملا متأصلة في كل نفس ، متغلغلة في كل قلب ، يحسها الغنى من تلقاء نفسه فلا يظننى ، ويرادها الفقير فيطمئن ويهدأ ، متجهون إلى خلق نظام تشعريفه البلاد بالمساواة قدر المتطاع ، وتدرك الطبقات المختلفة أن التباعد بينها ليس كثيرا ، والحياة فيها ليست بشاقة المشقة كلها على أناس بينما هي رخية الرخاء كله على آخرين ، فلا يصل واحد إلى الاتخام وإلى جانبه من يتضور جوعا ، ولا يحيا إنسان حياة الترف وغيره يقاسى يؤس الحياة ألوانا ، بل ينبغي لمصر أن تحيا حياة متناسبة متعاونة يشد بعضها بعضا ، ترى كل طائفة من طوائفها تأخذ حقها وتعطى ما عليها ، فلا طمع لقوى في ضعيف ، ولا اغنى في فقير ، ولا لمستغن في محتاج ، بل يدرك الكل واجبه ، ويقف عند حده ، ويعيش عيشة الهدوء والاستقرار . هنالك تسير مصر التطور المنتظر وتخرج مما يواجهها من مشاكل الحرب سايمة قادرة على النهوض بمحاجات الزمن ومقتضيات الأحوال . وعندئذ نرى شعبا انتشرت فيه العلوم ونمت الصناعات ، وعم الإنتاج ، وتبادل مع شعوب الشرق والغرب مختلف المصالح ، ووقف إلى جانبها مساعما في إنشاء جيل خيزرما نحن فيه الآن ، وعادت مصر سيرتها الأولى مهددا للحضارة والتقدم والعرفان “

وهذه الفقرات تعد وثيقة عظيمة فيها وصف دقيق لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية من ناحية ، ووعود بالعمل على تغيير هذا الوضع من ناحية أخرى ، وتصوير للنتيجة المنتظرة من هذا التغيير من ناحية ثالثة ، وآمال عظيمة في المستقبل من ناحية رابعة .

وقد كانت البلاد في حاجة ماسة إلى هذه الوثيقة بدلائلها الأربعة ، فإن فريقا من المصريين في حاجة لأن يحسوا ما في الواقع من نقص يجب إكماله حتى يتحقق لمصر نوع

من التوازن الاجتماعى بين جميع الطبقات ، وقد جاءهم بيان هذا الواقع من أكبر رجل مسئول فى الدولة وهو رفعة رئيس الحكومة ورئيس الوفد صاحب الأغلبية الشعبية والبرلمانية فهم خليقون أن يحسروا ما فى هذا البيان إذن من الصدق والقوة والعزم على تنفيذ ما جاء فيه من وعود .

وهذه الكلمات الواضحة كفيلى بعد هذا بأن تزيد فى ثقة الشعب بمستقبله الذى سيرتكز على أساس التضامن الاجتماعى بين القادرين والمحاجين " فتدرك الطبقات المختلفة أن التباعد بينها ليس كثيرا وأن الحياة فيها ليست بشاقة المشقة كلها على أناس بينما هى رخيصة الرخاء كله على آخرين .

والبلاد ينجح طبقاتها أن تطمئن إلى هذه الوعود التى سجلها رفعة رئيس الحكومة ، وأن ترتقب الإجراءات العملية لتنفيذها وجعلها حقيقة واقعة . فإن الظروف جميعها تحتم هذه الاجراءات ، والاتجاه العالمى كله يميل على مصر السياسة الواجبة الاتباع . فالتضامن الاجتماعى هو سمة العالم المنتظر بعد الحرب . وقد أخذت الشعوب الكبرى فى وضع المشروعات الملائمة لذلك ، وأشهر هذه المشروعات مشروع بيفرديج للتأمين الاجتماعى . ذلك المشروع الذى وجد من يعارضه منذ الآن بحجة أنه لاينبى بتطورات المستقبل ! ، وسنرى ما يتجه اليه العالم الجديد .

(٢)

وفى أول هذه الفقرات التى اخترناها من خطبة رفعة رئيس الحكومة قوله : " إننا منصرفون بأفكارنا وعقولنا إلى الإنشاء والتعمير ومواجهة ما استخلفه لنا الحرب من مشاكل ومسائل معقدة " .

وفى هذه الكلمات ما يدل على اليقظة المحمودة لما سيواجهه البلاد من مشاكل حين تضع الحرب أوزارها ، ووراءها بالفعل اقتراحات تبحث ومشروعات تعد لمواجهة هذه المشاكل . وفى مقدمتها مشكلة البطالة ، فإن هناك نحو ثمانية ألاف عامل وعدد كبير من الشبان المتعلمين يشتغلون الآن فى المعسكرات وغيرها من مستلزمات جيوش الحليفة وهؤلاء ، سيستغنى عن خدماتهم إذا انتهت الحرب ، كما أن هناك حوالى مائتى ألاف عامل يشتغلون فى صناعات نسات تحت ضغط الضرورة وانقطاع الواردات أو فى صناعات اتسع نطاقها بسبب هذه الظروف الطارئة ، ويخشى أن تخفى هذه الصناعات أو تنكس حين تزول هذه الظروف فتخلف وراءها عددا من العمال المتعطلين .

فإذا نظرنا الى هذه الحقائق وإلى الحقيقة المعروفة وهى أن العامل المصرى لا يعرف كيف يدخر فى أيام الرخاء لأيام الشدة اتضح لنا أنه من الضرورى التفكير منذ الآن فى إيجاد عمل لهؤلاء الذين سيتمطلون وانيرهم من سكان القرى الذين تضيق بهم الزراعة شيئا فشيئا فيرحلون الى المدن طلبا للكسب من الصناعة .

ورفقة رئيس الحكومة يقول : "إننا منصرفون الى الإنشاء والتعمير" وفي هذا حل للمشكلة من أيسر سبيل ، فالإنشاء والتعمير فوق أنه ضروري لتقدم عمران البلاد واقتصادها فيه حل لمشكلة البطالة المنتظرة لأنه يستغرق العدد الوفير من الأيدي العاملة .

ونضرب مثلا لذلك بمشروع إنشاء عدد من الطرق وهو أحد المشروعات العمرانية التي يمكن أن تتجه اليها النية ، فهو مشروع ضروري لتحسين حالة المواصلات في البلاد وربط أجزائها الداخلية ربطا محكما يساعد على الأمن كما يساعد على تجميل البلاد وتيسير السفر في قلب الريف بالسيارات الأمر الذي يوده كثير من السائحين والمصريين على السواء .

فمشروع كهذا مضمون الفائدة من الوجهة العمرانية ، وهو كذلك حل سعيد موفق لطرف من أطراف مشكلة البطالة المنتظرة . وقد سبقتنا أمريكا الى مثل هذه المشروعات قبل الحرب حينما بلغت البطالة فيها حدا مخيفا ، فاقترح الرئيس روزفلت " مشروع الإنشاء والتعمير " على هذا النسق في نطاق واسع ، وكان له بالفعل أثره الطيب في تحسين حالة البطالة بالولايات المتحدة .

وليس مشروع الطرق إلا مثلا لما يمكن أن تتجه اليه النية لمواجهة مشاكل ما بعد الحرب . وهناك غيره من المشروعات العمرانية متروك للفحص والتفكير حتى يكون مهيبا في وقت قريب ، فهذه الحرب حرب مفاجآت . ولا يدري أحد ما يمكنه الفيب في المستقبل القريب .

(٣)

وبينا تيسير مشروعات المستقبل في طريق التحضير نرى وزارة الشؤون الاجتماعية تبذل عناية ظاهرة بمشروع قائم هو " مشروع التعاون " فقد عدلت قانون التعاون بما يزيد امتياز الجمعيات التعاونية ويحفظ أموالها ، ثم أخذ معالي وزير الشؤون يعتمد المؤتمرات العامة للتعاون فعمد حتى الآن مؤتمرين أحدهما في عاصمة الدقهلية والثاني في عاصمة الغربية لشرح مزايا التعاون والحث على تنميته والتبشير بأنه سيصبح أساس الحياة الشعبية في المستقبل .

وهذا النشاط التعاوني يجيء في إبانه ، فإن جمع الظروف الحاضرة تهيء لنجاح الدعوة ، وفي مقدمتها حالة الغلاء الفاحش وصعوبة الحصول على ضروريات الحياة ، مما يجعل فائدة التعاون واضحة ملموسة في حياة الأفراد والعائلات .

وهي فرصة تذهب لتثبيت أسس الحركة التعاونية ، فقد كان مما يلاحظ بالأسف بطء نمو هذه الحركة في الأعوام السابقة وضيق دائرتها ، حين لم تكن الحاجة ماسة إلى الاشتراك في جمعيات التعاون للحصول على ضروريات الحياة . فإذا انتهزنا هذه الفرصة لتثبيت أسس الحركة التعاونية فذاك خليق بأن يضمن لها اطراد النمو في المستقبل بعد أن تزول هذه الظروف الاستثنائية .

ونحن في حاجة للتبشير بالتعاون في بلاد كمصر تنتشر فيها الأمية كما تنتشر الروح الفردية ،
فليس التعاون عملاً اقتصادياً نحسب ، ولكنه كذلك تربية لشعور الجماعة وتمكين لأسس
الاجتماع في آن .

ولقد كان التعاون هو العصا السحرية في بلاد كالدانمرك ، إذ أحالت هذه البلاد جنة
في مدى نصف قرن من الزمان ، وأصبح الآن هو عصب الحياة الاجتماعية والاقتصادية
في تلك البلاد من أقصاها إلى أقصاها .

فالجمعية التعاونية هي التي تتولى عن الأفراد جميع العمليات التجارية والصناعية الخاصة
بالحبوب والحيوان وضروريات الحياة الأخرى ، وهي التي تتولى عنه التصدير والاستيراد
وما بينهما من عمليات معقدة لم يكن الأفراد ليتقنوها لولا جمعيات التعاون .

والدانمرك بلاد زراعية مثلنا ومساحة أرضها المترعة ربع مساحة أرضنا ولكنها كانت
قبل الحرب تنج وتصدر ما يزيد على صادراتنا النباتية والحيوانية ، وذلك بفضل حركة التعاون
المتغلغلة في كل ركن في البلاد .

ولنا أمل وطيد في أن نسير في الطريق التي سارت فيها الدانمرك وبخاصة أن المستقبل
سيحتم علينا الجديد في وسائل الزراعة ، أي استخدام الآلات ، التي تعجز غالبية الزراع
عندنا عن استخدامها بسبب ضآلة الملكية والعجز عن شراء هذه الآلات . وفي هذه الحالة
يتقدم التعاون ليحمل العبء ، إذ تستطيع الجمعيات ما لا يستطيعه الأفراد في هذا المجال .

نهضة مصر الصناعية

لحضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا

” ألقيت هذه الكلمة بين يدي حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم
عند تشریف جلالتك لصانع كفر الدوار في الثاني عشر من نوفمبر ١٩٤٣ “
المحرر

مولاي

إن تشریف جلالتكم اليوم لهذه المنشأة الصناعية الحديثة هو يوم يمن وطالع سعد
للصناعة المصرية بأسرها .

إنه يا مولاي يوم مشهود يذكركنا بما ليبتكم العلوي من المآثر الجليلية في بناء أسس النهضة
الصناعية لمصر الحديثة .

وأى عجب أن نراك تشعل الحركة الصناعية في مصر بسامى رعايتك وأنت يا مولاي
نصير كل حركة عمرانية واقتصادية ورائد كل نهضة علمية تجيش بها مصر المستقلة .

أى عجب في ذلك يا مولاي وأنت مليل مجد على ذلك المصلح المستنير الذي لم تترك عبوريته
الشاملة ناحية من نواحي الانشاء والاصلاح إلا استوعبها . وحفيد اسماعيل الذي أراد بهيمته
الوثابة أن تغدو مصر قطعة من أوروبا . وشسبل فؤاد الذي وضع بناقب فكره وسعة علمه
واطلاعه قواعد الاصلاحات الحديثة التي شملت جميع مرافق البلاد .

لقد حظيت الصناعة المصرية في ظل جدكم العظيم مجد على بأعظم قسط من الرعاية . وكما
أنه قدر أهمية العمل على تدعيم قوى البلاد باقامة المنشآت الحربية والبحرية وإحياء النهضة
الثقافية بانشاء المدارس والمعاهد العلمية المختلفة ؛ فكذلك لم تنه أهمية الصناعة في البلاد
لتحقيق رجائها ومن ثم كان ذلك المجهود الجبار الذي بذله في بعث مختلف الصناعات الجديدة
في مختلف أنحاء البلاد . وقد كانت صناعة الغزل والنسيج في مقدمة الصناعات التي عني بها .
فأنشأ منذ سنة ١٨١٦ مصنع الغزل والنسيج الكبير بالخرنقش واستدعى له العمال الفنيين من
إيطاليا وبدئ فيه بغزل خيوط الحرير ثم ضم إليه قسم لغزل القطن ونسجه .

ولما نجحت هذه الصناعة لم يكف إنتاج هذا المصنع حاجة استهلاك البلاد فأنشأ على
مقربة منه مصنعا آخر لنسيج الأقمشة الحريرية ومصنعا ثالثا لغزل ونسج القطن . ثم أنشأ

بعد ذلك في بولاق عدة مصانع أخرى لغزل القطن ونسجه وأقام في شبرا مصنعا لتبييض الأقمشة وطبعها ومصنعا آخر لصناعة الجوخ والأقمشة اللازمة للملابس الجند .

وفي عهده أقيمت عدة مصانع أخرى لنسج الأقمشة الصوفية اللازمة للبحارة المصريين بلغت أنوالها أربعة آلاف نول . وشملت هذه النهضة الصناعية جميع أنحباء القطر بالوجه البحرى : في قلوب وشين الكوم والمحلة الكبرى وزفتى وميت غمر والمنصورة ودمياط ودمهور وفوه ورشيد . وفي الوجه القبلى : في بنى سويف وأسيوط . وبلغت دواليب الغزل في هذه المصانع المختلفة ما يقرب من ١٥٠٠ دولاب .

ولم تقف همة هذا المصلح العظيم عند هذا الحد ولكنها تناولت أنواعا أخرى من الصناعات فأنشأ في بولاق مسبكا كبيرا لامداد المصانع المختلفة بقطع الغيار والآلات التي أمكن صنعها في مصر .

ولم يفت المغفور له جدكم العظيم اسماعيل - إلى جانب ما اضطلع به من اقامة المنشآت التعليمية والاجتماعية والعمرائية . أن يشمل الصناعة بعنائه ورعايته . فأنشئت في عهده مصانع السكر الكبرى التي بلغت سبعة عشر مصنعا في مديريات بنى سويف والفيوم والمنيا وأسيوط وقنا . كما تجددت في عهده مصانع النسيج التي تأسست في عهد جدك على الكبير .

وجاء عهد المغفور له والدكم العظيم - طيب الله تراه - متوجا لهذه الجهود المباركة فوضعت بتعزيده وارشاده المستنير أسس النهضة الصناعية الكبرى التي أخذت البلاد تجنى ثمارها والتي تبشر في عصركم الفنى الزاهر بأعظم الآمال .

هذه يا مولاي لمحة صغيرة من آثار بيتكم العلوى الكريم على نهضة مصر الصناعية . فلا عجب أن تحظى اليوم هذه النهضة بميمون رعائتكم وسامحى تعزيديكم وأنتم تجرون في ذلك على سنن آباءكم الأماجد .

وهذه المصانع يا مولاي التي تشرفونها اليوم بزيارتكم الميمونة أنشأها المرحوم طاعت حرب باشا الذى كانت له اليد الطولى والفضل الأكبر في بث الدعوة الصالحة لاهتمام المصريين بأمر الصناعة واشتراكهم فيها بأموالهم وعقولهم وسواعدهم والذى يرجع إليه الفضل الأوفى في قيام هذه الصناعات المصرية الجديدة التي يراها ويوملها بنك مصر ، كما كان إقدامه ونجاحه دافعا لعزائم غيره عن المولين المصريين الذين قاموا على أثر هذه التجربة الجريئة الناجحة بتأسيس شركات أخرى مصرية كثيرة في العشرين سنة الأخيرة . وقد ساعد على قيام هذه النهضة المباركة التشجيع والتأييد المستمر الذى تلاقيه الصناعة من حكومة جلالة الملك .

وتقوم هذه الصناعات بتكاملة سلسلة صناعات الغزل والنسيج التي بدأت بتأسيس المؤسسة الشقيقة في المحلة الكبرى وهي مختصة بإنتاج خيوط الغزل السميك من رقم ١٢ إلى رقم ٢٠ ومنسوجات من هذه الخيوط؛ بينما اختصت شركة كفر الدوار بإنتاج خيوط من الغزل الرفيع من رقم ٢٠ فما فوق ومنسوجات رقيقة لم تنتجها من قبل شركات الغزل والنسيج في هذه البلاد. وعلى هذا فقد اختصت بالغزل والنسيج فقط. أما الصناعة فتباشرها زميلتنا شركة البيضاء التي استعدت لهذا العمل أحسن استعداد والتي يشرف عليها اختصاصيون لهم تجربة طويلة بهذه الصناعة.

صدر المرسوم الملكي بتأسيس هذه الشركة في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٨ برأس مال قدره مائتان وخمسون ألف جنيه زيد بعد ذلك إلى خمسمائة ألف جنيه وبدأت الشركة فوراً في تأسيس البناء وفي استيراد الآلات والمكينات اللازمة لهذا المصنع.

وقد اختارت له أحدث الأنواع الأوتوماتيكية وهي آخر ما أخرجته الصناعة ابتكاراً وجودة ووفرة إنتاج، وكان مقدراً لاتمام هذا المصنع ثلاث سنوات.

غير أن الحرب الأوروبية التي أعلنت في سبتمبر سنة ١٩٣٩ أي بعد سنة واحدة من ابتداء التأسيس - كادت تحول دون إمكان الحصول على شطركبير من الآلات والمكينات التي كانت الشركة قد أوصت عليها المصانع الألمانية والسويسرية.

ولكن العناية الإلهية وحدها مكنت هذه الشركة من الحصول على جميع ما ينقصها من الآلات من إنجلترا وأمريكا في أقصر زمن ممكن. وبذلك حلت مشكلة معقدة كان يخشى معها أن تتعطل هذه المصانع طول مدة الحرب فتحرم البلاد من كميات كبيرة من المنسوجات هي في أشد الحاجة إليها.

وقد تم استعداد هذه المصانع وبدأت بإكورة إنتاجها في أول مارس سنة ١٩٤٠ - أي قبل أكثر من سنة من الموعد المقرر - وكانت هذه الباكورة تمتاز على الأقمشة التي تمثالها مما يرد من الخارج.

ومما يدعو للغبطة أن هذا المصنع قد وضع تصميمه ممارون مصريون وهم مهندسو المحلة الكبرى وقام بإنشائه مقاول مصري هو محمد بك حسن العبد.

وقد أوفدت الشركة، بمجرد البدء في تأسيس هذه المصانع، بعثات مختلفة إلى المصانع الإنجليزية المختصة بهذا النوع من الصناعة بلغ عدد أفرادها ٧٣ شاباً مصرياً ممن أتوا دراستهم

في المدارس المصرية الصناعية ثم ترونا بمد ذلك في مصانع المحلّة الكبرى فأرسلت منهم الى كلية بلاكهورن بعثة مؤلفة من ١٦ عضوا لتعلم صناعة الغزل وما يتعلق بها ، وبعثة أخرى مؤلفة من ٥٠ عضوا لصناعة النسيج وما يتعلق بها أيضا ، وبعثة ثالثة مكونة من ٧ أعضاء ميكانيكيين لأعمال الصيانة ولما عادوا الى مصر اشتركوا بأنفسهم في تركيب ما كان قد وصل الى مصانع الشركة من الآلات والمساكينات مما ساعد على البدء بإنتاج سريع .

ويقوم بالعمل في هذه المصانع نحو ٣٥٠ موظفا - كلهم من أبناء هذه البلاد - يتقاضون مرتبات سنوية تبلغ حوالي ٦٠ ألف جنيه . أما العمال فيبلغ عددهم نحو ٥٠٠٠ عامل يتناوون أجورا تبلغ نحو مائة وتسعين ألف جنيه في العام وليس بينهم من الأجانب إلا ستة أشخاص منعت الحرب عودتهم الى بلادهم .

وقد قامت الشركة - لرعاية موظفيها وعمالها - بإنشاء المساكن الصحية لهم ، وهي تزيد من هذه المساكن بلا انقطاع لإمكان إسكان أكثر عدد ممكن . كما أنشأت مطاعها صغيرا للعمال يتناول فيه من يريد منهم الطعام بأثمان زهيدة تساهم الشركة بجزء منها . وقد أعدت الشركة مشروع بناء مطعم كبير يتسع لجميع العمال . وقد عرضت هذا المشروع على المقاولين للناقصة وستبدأ في إنشائه قريبا إن شاء الله . كما تعنى الآن بتوفير وسائل الألعاب الرياضية وإنشاء عيادة طبية ومسجد ومدرسة لهم .

هذه يا مولاي لمحة سريعة عن هذه المصانع التي تفضيتم بزيارتها اليوم . وستكون هذه الزيارة الميمونة بداية عصر جديد زاهر لهذه المؤسسة ولخيرها من المؤسسات الصناعية في مصر .

حفظ الله ذاتكم الكريمة المحبوبة . وأمد في حياتكم المباركة . وجعلكم دائما نبراسا للصناعة المصرية وللنهضة المصرية في جميع نواحيها .

النهر المتعطل ومشروعات المستقبل

النيل نهر متعطل بين أنهار الدنيا التي تماثله والتي هي دونه بمراحل ، ولو كنت حاكما
للأنهار لفكرت في أن أرسل اليه بإنذار تشرد كالذي ترسله السلطات للمتعطلين من الأفراد !
لولا أنه نهر معذور في تعطله ، مستعد للعمل في كل لحظة وليكنه لا يجد ما يعمله !

ولقد ظل هذا النهر عشرات الآلاف من السنين أو مئاتها يعمل فيا هيئ له من رى
الأرض ، حتى قيل بحق إن "مصر هبة النيل" ولم يقصر في هذا العمل الرئيسى الهام طوال
هذه الأجيال ، وكلما طاب اليه الجود فاضت يداها ، وكلما وجه للخير ذهب في كل اتجاه !
الا أن الأنهار لا تقوم بالرى وحده ، فالرى وظيفة واحدة من وظائف الأنهار في الدنيا
والنيل أبو الأنهار صالح لأداء عشرات من الوظائف الأخرى هو وشاطئاه الطويلان ، فعلىنا
نحن أن نوجه لهذه الوظائف وألا نتركه متعطلا معرضا لإنذارات التشرد !
وسنذكر من هذه الوظائف الطائفة الرئيسية التي يستطيع أداءها في يسر واتقان :

(١) توليد الكهرباء من مساقط المياه .

(٢) الملاحة النهرية .

(٣) الكورنيش النهري .

(٤) مصايد الأسماك .

وقبل أن نتحدث عن هذه الوظائف وفائدتها لحياة الوطن ونموه ، وأثرها في رقى البلاد
وتجديدها ، يجب أن نذكر أننا مضطرون للاتجاه إليها اضطرارا بحكم ظروف المستقبل القريب .
إن هناك مشكلة تنظرنا عقب الحرب مباشرة ، ويجب أن نمد لها العدة منذ الآن ،
ونحن نعرف أن الدوائر الحكومية المسؤولة تعد هذه العدة فعلا . هذه المشكلة هي مشكلة
البطالة لعدد كبير من الأيدي العاملة التي تستغرقها ظروف الحرب الطارئة .

هذه الأيدي متعطل لأن العمل في المعسكرات وسواها من الأعمال المتماقة بالحرب
سينتهى ويخلف مئات الألوف بلا عمل ، ثم إن الصناعات الكثيرة التي اتسع نطاقها بسبب
الحرب والصناعات الكثيرة التي نشأت تلبية للظروف الوقتية ستتكش عند انتهاء هذه
الظروف وتلفظ الكثيرين ممن يعملون فيها . فإذا أضفنا الى هذا أن الزراعة الآن مزدهرة

للاسباب نفسها ، ولرواج الأعمال الزراعية ، وأن هذا الرواج غير مضمون حينما تعود الأحوال الى ما كانت عليه ، مع علمنا بأن أعمال الزراعة لم تكن تستغرق جميع الأيدي العاملة في الريف ، فإن هذا يشير الى طرف من أطراف المشكلة التي سنواجهها ...

لا بد إذن من التفكير في وسائل للعمل بعد الحرب مباشرة ، والجهات الحكومية المسئولة كما قلت تفكر في المسألة على هذا الأساس ، فكل عملنا إذن في هذا المقال أن نشير الى بعض وسائل العمل الممكنة بتمكين النهر المتعطل من العمل فيعمل معه عشرات الألوف من أبناءه المتعطلين !

والآن فلتحدث عن كل وظيفة من هذه الوظائف الأربع التي اخترناها في صدر هذا المقال :

١ - توليد الكهرباء من مساقط المياه :

هذا مشروع مدروس ، وقد كاد يتقرر الشروع فيه بالنسبة الى خزان أسوان ، وقيل يوماً إننا سنستخدم جزءاً من القوة الكهربائية في صنع السماد ... الخ .

ونريد أن نقول : ان بعض البلاد الأوروبية والأمريكية تستخدم كل مساقط المياه القليلة الأهمية وتنشرها الانارة الكهربائية في القرى ، والطاقة الكهربائية في المصانع الصغيرة حولها ، ونهر النيل ذو الرياحات والترع والتنوات والمصارف ، غني بهذه المساقط التي يمكن استخدامها شيئاً فشيئاً ، فتشيع في حياة البلاد الاقتصادية والعمراية روحاً جديدة ، وروحاً جديداً .

وقد لا يكون لمثل هذه المشروعات أثر مباشر في مواجهة مشكلة البطالة التي تحدثنا عنها ، ولكن لها أثراً لا شك في حالة البلاد الاقتصادية والعمراية ، وفي نشاط الصناعة وتغلغلها ، ولهذا كله أثره المحتوم في حالة العمل واستغلال النشاط .

وقد يقع في كثير من الأحيان أن يكون استخدام قوى الطبيعة سبباً في تعطل القوى البشرية العاملة ، ولكن هذا لا يلبث إلا ريثما تتغير ظروف العمل وتتغير ، وتفتح أوجه جديدة للعمل في المحيط الجديد والظروف الجديدة .

وحسبنا من مثل هذه المشروعات أنها تيسر القوى للدافعة لعشرات المصانع الكبيرة ومئات من المصانع الصغيرة ، وأن نستطيع بواسطتها إنارة المدن والقرى وكهربة بعض الخطوط الحديدية ... الى آخر ما ينتفع فيه بالقوة الكهربائية ... وما ينتج ذلك من أثر حاسم في مدينة البلاد واقتصادها واجتماعها وهو ما يمكن التعبير عنه عند تمامه بالانقلاب .

٢ - الملاحة النهرية :

عرف النيل منذ مئات الأجيال تلك المراكب الشراعية الصغيرة والكبيرة ، ولكنه لم يعرف إلا قليلا كيف يكون طريقا للملاحة النهرية البخارية كما يعرفها نهر «الفولجا» مثلا . وفيما عدا شركات أجنبية صغيرة للملاحة النهرية تسير بضعة زوارق وجرارات ، بقي النيل متعطلا لا يحمل إلا سفن الشراع .

والذين تتبعوا أخبار الحرب الروسية أيام وقائع " ستالينجراد " عرفوا المهمة العظمى التي اضطلع بها نهر " الفولجا " في النقل الحربي والمدني في هذه الظروف الحرجة ، والخدمة التي أداها للوطن الروسي في أشد اللحظات .

أفيعجز النيل العظيم - أبو الأنهار - عن القيام لمصر بمثل هذا الواجب المحتوم ، وهو الذي لم يعجز عن واجب لمصر منذ مئات الآلاف من السنين ؟

والملاحة النهرية تستطيع أن تصنع لمصر الشيء الكثير في اقتصادياتها جميعا ؛ فالسكك الحديدية قليلة في مصر نسبيا ، أما الطرق البرية فسيئة جداً (وستحدث عنها في النقطة التالية) فيجب إذن أن نعتمد اعتمادا أساسيا على الملاحة النهرية في نقل المحصولات والآلات ، وفي نقل الركاب إلى داخلية البلاد ، إذ أن محطات السكك الحديدية معظمها في المدن التي تبعد كثيرا أو قليلا عن قلب البلاد الريفية .

وهذا النهر المنساب بين القرى والمدائن يستطيع أن يربح الآلاف من أبنائه فيحملهم إلى قراهم آمنين مطمئنين ، إذا انسابت فيه المراكب البخارية من شتى الأحجام والأنواع . فما الذي نحتاج إليه لتنفيذ مثل هذا المشروع ؟

شركات مصرية تنشئ موانئ نهرية على طول شواطئ النيل المديدة ، وتشترى السفن البخارية ، وتتولى عمليات النقل التي لا تنهض بها السكك الحديدية .

وسيكون لهذا المشروع أثر في حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية لا شك فيه . فهو أولا سيوجد أسواقا محلية قريبة للمحاصيل الزراعية المختلفة ، ويوفر على الزراع والتجار ما يمانونه من المشاق في حمل المحصولات إلى محطات السكك الحديدية وشحنها ، لأن المحطات النهرية ستكون أقرب والشحن فيها أيسر . وهو ثانيا سيستخدم عددا ضخما من الأيدي العاملة في الموانئ والسفن وأعمال الشحن والنقل المختلفة حيث يعيش هؤلاء العمال في جو ريفي تقريبا فلا يتعرضون لما يتعرض له عمال المدن من الآفات الصحية والخلقية . وهو ثالثا سيخلق في البلاد جبالا لا عهد لها به ، فالتنقلة في النيل الجميل والرسو على موانئه المتناثرة في جوف البلاد سيكون متعة يحرص عليها طلاب التزهة الذين لا يجدون مثل هذه السفرات الجميلة .

والزهات الرائعة التي يروى نبأها رواد السين في فرنسا والفولجا في روسيا والرين في
لمانيا لا يتصر النيل الخالد الرائع في تحقيقها للمصريين ، الذين يسمعون هذه الأنباء
فيتخيلونها في عالم الساء وهي منهم قريبة ، والنيل الطبع يحققها لمن يريد .

إن الذين يعيبون على الفن المصرى الحديث أنه لم يخلد النيل العظيم ، لا يحسبون حساب
الواقع ، وهو أن النيل غريب عن سكان وادى النيل ، لا يكادون يرونه إلا لحظات عابرة ،
وأهم لا يستمتعون من جماله وزهاته بالقابل ولا الكثير .

فإذا تم مثل هذا المشروع الذى ندعو إليه ، وقامت الموانئ النهريّة الجميلة على شاطئيه
ومخرت فيه الزوارق تشق عبابه وتنساب بين الوادى المخضر الجميل ، فمندئ يعرف الفنانون
جمال النيل ، وتسجله أنبيهم وقصائدهم ولوحاتهم أجمل تسجيل .

٣ - الكورنيش النهري :

وكورنيش النيل . . . إنه حلم من الأحلام الشاعرية الجميلة ، ولكنه حلم اقتصادى
كذلك ، من جميع الوجوه . فحالة الطرق في مصر متأخرة حتى عن بعض البلاد العربية
كفلسطين في الشرق ومراكش في الغرب ، وقد أنشئت أخيرا بضع طرق اقتضتها ظروف
الحرب فكانت حسنة من حسناتها ، ولكننا لانزال في حاجة ماسة إلى الإسراع في استكمال
المواصلات البرية ، وكورنيش النيل يؤدي في وقت واحد جملة أغراض هامة للبلاد منها :

(أولا) إيجاد طريقين رئيسيين يشقان البلاد من أقصاها إلى أقصاها ويتصلان بالطرق
المقاطعة لها في الداخل ، وترتبط البلاد بشبكة من الطرق البرية لها أثرا في الانتقال والنقل
وحفظ الأمن في البلاد وارتباط مدنها وقراها على الشاطئين . وفي الداخل وهو ما ينقصنا
الآن ، وهو لازم لحياة البلاد الاقتصادية والعمرانية ومكمل لوظيفة النقل النهري السابقة .

(ثانيا) استخدام عدد كبير من الأيدي العاملة في شق هذه الطرق الرئيسية ، وهو عمل
ضرورى لمواجهة مشكلة البطالة بعد الحرب مباشرة . ومثل هذا المشروع يعد مشروعا
اقتصاديا بما يسببه للحركة التجارية والعمرانية من نشاط ، فإذا أدى أيضا إلى مواجهة مشكلة
البطالة كان ذلك من حسناته الإضافية .

(ثالثا) كشف وجه النيل الجميل على الشاطئين فتقوم عليهما سلسلة من العائز والفيلات
الجميلة ، تجعل حافيه جديرتين بالنهر الخالد ، وتجميل الريف الكئيب ، وترد إليه كثيرا من
هجروه لقبه وكابته ، كما تجعله مرادا للرياضة والزهة لسكان المدن القريبة ، الذين
يستطيعون السفر إذ ذاك بالسيارات وبالسفن البخارية على السواء .

وإنه ليبدو حلما شاعريا جميلا ذلك "الكورنيش" المتلوى على الشاطئ الخالد ، وهنا وهناك تناثرت الجواسق والقصور ، وتناثرت كذلك الموانئ النهرية الصغيرة ترصع الشاطئ المتلوى المنساب .

إن الريف المصرى ريف مهمل كئيب ، لأن شرايين الحياة لا تتصل به لافى البر ولا فى النهر ، فإذا تها لهذا الشرارين أن تتصل به أممته بالحياة وأشعرته الوجود أو كسبته النضارة ووسمته بالجمال .

إنه حلم ! فتى تتحقق الأحلام ؟

٤ - مصايد الأسماك :

ومصر بلاد يعدها بحران ويشقها نهر كبير ، ومع هذا لا تجد كمياتها من السمك . فتبلغ أسعاره فيها حدا مرتفعا يعزى على الاوساط من الناس ، بله الفقراء .

والنيل وحده كان كافيا لإمدادها بغذاء من السمك يرفع نسبة التغذية فيها درجات والنيل غير ضمين ، ولكن أهله خائبون !

وككل شىء فى هذا البلد العجيب كانت معظم مصايد الأسماك فى يد جماعة من الأجانب معظمهم من الطليان ، فلما قضت ظروف الحرب بإبعادهم تعطلت المصايد ونقص المستخرج من السمك إلى حد كبير ، وحدثت هذه الأزمة التى نراها الآن فى لحوم السمك ، وارتفعت أثمانها هذا الارتفاع .

ومصايد الأسماك مشروعات استغلالية مربحة ، فسيلا إذن إلى الربح هو تنظيم هذه المصايد بتأليف شركات مصرية كثيرة للاستغلال على شاطئ البحر وفى النيل العظيم . وهذه الشركات تستطيع أن تؤدى لنفسها ولمصر خدمات عظيمة . تستطيع أن تشرح وأن تستخدم مئات بل أوفى من الأيدي العاملة فى شتى صناعات الصيد المباشرة وغير المباشرة ، وأن تكفل للسكان موردا من الغذاء الجيد على مدار العام .

ولا يكفينا هذا إلا أن نفتح أعيننا ، وأن نولى وجوهنا وجهة الكسب الحر المبتكر ، كما يصنع الأجانب الكثيرون تحت سمعنا وبصرنا فى كل يوم بينما أغنياؤنا منصرفون إلى شراء الأرض بأضعاف ما تستحقه حسب نسبة إيرادها ، وشباننا منصرفون إلى الوظائف الحكومية حتى أعمال اليومية ، والأجانب وحدهم يغزون موارد الرزق الغزيرة بلا منافسة من أهل البلاد .

تلك بعض مشروعات المستقبل ، فى دائرة النهر المتعطل ، النهر الذى لا نظيره بين أنهار العالم فى مزاياه ، وهو معطل عن العمل حتى ليستحق إنذار تشرد ، لولا أنه معذور يطلب العمل فلا يلقاه ! ولو أوجب الملا البلاد خيرا وصحة وجمالا ، ولما قبح حكما فى مجراه مكفيا بعمالة الرى التى ظال يقوم بها عشرات الأجيال فى رتبة واطراد ، أحسبه سُم منهما وهل . وآه لو ينطق النيل ، إذن لظهر بالسامة والملا .

وظيفة الفن والصحافة في بناء المجتمع وتوجيهه

بقلم الأستاذ سيد قطب

لا أستطيع أن أسلم لحظة واحدة بقبص أجنحة الفن الجميلة التي يسمونها عن الواقع المحدود حين يريد ، ويحاك بها بعيدا عن قيود الضرورة وعن الصراع الأرضي المضمي في سبيل لقمة العيش وضروريات الحياة .

وفي اعتقادي أن هذا يتنافى من أساسه مع وظيفة الفن ومبعثه الأصيل في النفس الإنسانية . فهذه النفس أكبر من ضرورات العيش اليومية ، ومطالبها لا تنتهي عند لقمة الخبز ، بل تتبدئ من هذه النهاية . وهي لا تبذل لضرورات العيش إلا الجهد الذي تحصل به على هذه الضرورات فإذا أدركتها سارعت إلى تلبية الأشواق العلوية فيها . أي سارعت إلى الفن تحاول أن تجده عنده مالا تجده في هذا العالم الأرضي المحدود . فإذا شغل الفن نفسه بمطالب العيش كذلك لم تجده هذه النفس مهربا من حيز العيش الضيق ، وبطلت وظيفة الفن من أساسها كما نقول .

ولقد ضاقت فسحة الأرض عن أشواق النفس الإنسانية حتى في إبان طفولتها ، فتطلعت إلى الدين ليهبها عالما آخر أفسح من عالم الأرض المحدود أو لتجد فيه على الأقل قوة أخرى أكبر من القوى الأرضية الصغيرة ، وتطلعت إلى الفن ليهبها عالما آخر أجمل من عالم الواقع ، أو لترى فيه على الأقل جمالا أحلى من المشاهد اليومية المألوفة . ولو كلت لقمة الخبز والصراع عليها تستغرق طاقة النفس الإنسانية كلها لكانت خائفة أن تستغرقها وهي في طور السذاجة البدائية ، وقبل أن تطوع قوى الطبيعة المادية لخدمتها وراحتها كما هو الحال الآن .

وكل دعوة إلى قبص أجنحة الفن الجميلة ، وحصره في دائرة الصراع الأرضي ، وفي مطالب العيش ونضال الطبقات ... إنما تصدر عن ضيق في النفس وارتكاس إلى الطور الحيواني في حياة الإنسان ، قبل أن تنبض في نفسه الحاسة الذهنية ، التي تنزع به حتما إلى التحليق فوق الواقع ، والانفلات من ضرورات العيش وأنقال المادة .

وان يغفل حساب الأشواق المجهولة في النفس الإنسانية ، وحساب التطلع إلى المثل العليا ، إلا إنسان فرغت نفسه من النوازع الإنسانية ، واستغرقه الجانب الحيواني في حسه إلى أقصى الحدود . فإذا لم تنقل هذا التطلع وتلك الأشواق لم يكن بد من أن نطلق الحرية للفن ، ليرتاد بنا عوامل أخرى أجمل من عالمنا المحدود ، أو على الأقل ليعمق ويوسع جوانب هذا العالم المشهود ويكشف عما فيه من محاسن ومفاتيح ، ويروح عن نفوسنا من صراع العيش ونضال الطبقات .

أما تثقيف الجمهور والنحس عن مشاكله ، وتوجيه التوجيه المباشر في الاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وسائر ضرورات الحياة ، فوظيفة أخرى واجبة تنهض بها المدرسة وتنهض بها الصحافة ، وينهض بها رجال السياسة والاجتماع بالخطابة والكتابة وجميع الوسائل الأخرى . حتى إذا شبت النفوس من هذه المادة الأرضية ، وأحست بالرغبة في إشباع الجانب العاوى فيها ، وفي إرواء حاسة الجمال والطلافة تلتفت حينئذ الى الفن فوجدت عنده شيئاً آخر غير هذا "الوحل" الأرضى ، أجمل وأعلى وأخلد ، من كل ما كانت فيه ؟ تختلف وظيفة الصحافة إذا عن وظيفة الفن بالنقاس إلى المجتمع . ولكنى لا أحب أن يفهم الناس من هذا أن الفن شىء كالى أو لا وظيفة له في الحياة .

فالفن ليس أمراً كالياً لأنه ضرورة نفسية تعادل الضرورة الجسدية ، فإذا اقتضى الجسد وإشعاعاته الذهنية مطالب وضرورات لا بد منها لدوام الحياة ، فإن الروح تقتضى كذلك مطالب وضرورات لا بد منها لرقى الحياة . هذه المطالب والضرورات النفسية هى وظيفة الفن كما هى - فى وضع آخر - من وظيفة الدين . لا بل إن الدين لياخذ نفسه بتنظيم المجتمع بجانب ما يهبه للروح الانسانية من العقيدة العلوية ، أما الفن فليس مطالباً بهذا التنظيم ، لأنه لا يأخذ نفسه إلا بتزويد الروح الانسانية بالعقيدة الفنية أو باللذة الوجدانية ، وهذه اللذة الفنية ليست شيئاً كالياً كما قلت إنما هى ضرورة انسانية كضرورة الطعام والشراب ، وإن يستغنى عنها إلا الكائن الحيوانى الذى لا فسحة فى حسه لغير الطعام والشراب !

وللفن وظيفة أساسية هى ترقية الحياة . فهو أبداً إما أن يبرز لنا أبجلاً ما فى هذه الحياة وإما أن يرفرف الى عوالم أخرى أجمل من العالم المحسوس ، وهو فى أثناء ذلك يرهف الحس ويشوق النفس الى هذا الجمال المكنون أو المتخيل فيبرز الحياة التى تفصل بين الواقع الناقص المشوه الذى نعيش فيه وبين الصورة الجميلة التى يبرزها أو يخلقها ، فتتطلع النفوس اليها ، وتبذل الجهد والمال والحياة فى بعض الأحيان لتحقيقها . وهذا ما نعنيه بترقية الحياة ، التى لم تكن لتتحقق أولاً الحاسة الفنية التى تتطلع دائماً الى الأسمى والأجمل والأخلد .

وليس هذا كلاماً يقال . إنما هو قول ضرورى لتلليل كل تضحية يبذلها فرد فى سبيل مثل أعلى من أى نوع وفى أى اتجاه . هذه التضحية التى تناول الجهد أو المال أو الحياة نفسها ، لتحقيق هدف أكبر من ضرورات العيش بل أكبر من الحياة .

وللفن وظيفة اذن يؤديها أرفع من وظيفة الصحافة والخطابة والسياسة ، وأرفع من الإصلاح الاجتماعى المحدود ، ولكن هذه الوظيفة لا تتنازع مع الإصلاح الاجتماعى ، بل هى تؤيده وتدعو اليه ، ولكن من طريق غير مباشر ، طريق الحرية التى تتطلب ما هو أكبر من الواقع وما هو أجمل من الواقع ، وطريق ارهاق الحس للسخط على النقص والقبج والنشاز وطلب الكمال والجمال والانسجام .

فالفنان رسول اصلاح اجتماعى ، ولكنه ليس داعية اجتماعيا ، أو على الأقل لا يجوز أن نكلفه مهمة الدعوة المباشرة لأنه بوسائله الخاصة يترك أثرا أعمق وأخلد من أثر الداعى المباشر ، فإن ميدان عمله هو جوهر النفس الإنسانية ، وماهية عمله هى اعداد هذه النفس لتقبل دعوة الخير والجمال ، والسخط على القبح والنقص ، فى كل صورة وكل وضع ، فى ميدان الاجتماع أو الاقتصاد أو الأخلاق .

ولكن بعض الفن يتجه فعلا الى الاشتغال بالواقع ، فيغمر نفسه فى صراع الطبقات ، أو يعنى بالتوجيه الخلقى أو الاجتماعى المباشر ، أو يتجه الى العكس فىلجئ الترائز وضرورات الجسد ، أو يتخذ وسائل العلم فى التحليل والتعليل . وأنا لا أتردد فى الحكم على هذا اللون من الفنون بالانحراف عن جادة الفن وبالمهبط عن مستواه الرفيع ، مهما بلغ من الدقة والجودة . فسبيل الفن أن يدعونا دائما الى ما هو أكبر من الواقع وأجمل من المحسوس ، والانسانية تقتضى معظم وقتها فى صراع العيش وضرورات الغريزة حتى تمل هذه وذالك ، فما قيمة فن يرددها بعد ذلك الى مثل ما كانت فيه ، بحجة أن ما يصوره "واقعى" ؟ إن كونه واقعى بهذا المعنى المحدود هو الداعى لأن تتجاهل الفنون . فالمثل العليا والرغبات المكنونة هى الأخرى "واقعية" بالقياس الى النفس الانسانية ، ذات القوتين الكبيرتين : قوة الحرص على دوام الحياة ، وقوة الحرص على رقى الحياة .

"الواقعية" إذن لا تصلح حجة لشغل الفن بالأمر المحدودة والضرورات الملحة ، لأن هناك ضرورات روحية واقعية كذلك تتطلب الطلاقة من كل هذه القيود. ولكن لا يفهم أحد من هذا أن الفن إذن هو "التخريف" أو "التجديف" فحدود الفن هى الجمال والجمال لا يكون مع الفوضى أو الانحلال .

ونصل بهذا الى نقطة أخرى فى الموضوع هى صلة الفن والصحافة بالجمهور ، وكيف تكون ليتحقق نجاحها فى أداء وظيفتها .

بعض المشتغلين بالفن والصحافة فى مصر ينظرون الى الرواج كأنه غاية النجاح المطلوب ، وتلك نظرة تجار مسترجحين ، لا نظرة فنانين ولا صحفيين . والرواج مع هذا — ليس عيبا ولا مذموما ، ولكن يجب أن ينظر فى الحكم عليه — الى السبب والوسيلة .

فى كل نفس إنسانية — مهما انحطت — خيطان متجادبان : الخيط الأول هو تلبية الرغبات الفريزية والضرورات الوقتية ، والخيط الثانى هو تلبية الرغبات العلوية والضرورات الخالدة ، وبتعبير آخر خيط المهبط وخيط الصعود . وفى كل نفس استعداد كامن للأمرين على السواء .

وطبيعى أن تلبية الفريزة ألد وأسهل من تلبية الروح ، والجهد الذى يبذل لاستمالة إنسان ما إلى طريق الانحدار أيسر بكثير من الجهد الذى يبذل فى استمالة إلى طريق التسامى

ولكن شرف الفن وكرامة الصحافة يجب أن يتجها إلى الطريق الأخير ؛ وحينئذ يكون الرواج فضيلة ؛ كما يكون دليلا على المهارة الفنية أو الصحفية .

فلنتظر إلى الفن الراجح وإلى الصحافة الرائجة انرى أى الطريقين يسلكان فى هذا الجدل ؟ من المؤلم أن نقرر أن معظم الفن ومعظم الصحافة يتمسك بخيط المهبوط لا بخيط الصعود . فمن الغناء بلا استثناء فى هذا الجدل ، وشئ من التصوير ، وبعض من الشعر والكتابة ، وغالبية الأفلام السينمائية ومعظم المجلات الأسبوعية ... كل هؤلاء يتخذ إرضاء الفرائز الحيوانية مبيلا إلى الرواج والنجاح .

هذه المطربة التى تئن وتتهالك ، وهذا المطرب الذى يتكسر ويتخلف ، وهذا المصور الذى يبرز مطارح الغريزة بلا ضرورة ، وهذا الكاتب الذى يسجل نزوات الجسد ومقادير الغريزة ، وهذا الشاعر الذى يتعمد إيقاظ الشهوة المريضة ، وهذا المخرج الذى يبرز المانظر المثير وقد يكون زائدا فى الفيلم ، وهذه المجلات التى تنشر الصور الآدمية العارية ، وتصنف بجانيها مخازى البيوت ومساقط المجتمع ... كل هؤلاء إنما ينشدون الرواج من أقدس طريق ، لأنه أيسر طريق !

وسألم فى ذلك فيجيبون بأن الجمهور يريد ، وبأن الرواج دليل على رغبة الجمهور ... ونحن لا نجدادل فى أن الجمهور يريد ، فما لا شك فيه أن للناس غرائز حيوانية ، وأنهم يستلذون كل ما يحرك هذه الغرائز ويأبها ، وأن هناك أناسا مقبوحين متبوذين من المجتمع كل عملهم هو تلبية هذه الغرائز ، وأعمالهم هذه رائجة ورائحة ، ولكن الرواج لا يقوم عذرا لهم أمام السلطات التى تحاربهم وتسد عليهم الطريق . أفيرضى رجال الفن والأدب والصحافة أن تروج أعمالهم على طريقة أولئك المتبوذين من المجتمع الراجحين فى عالم اللغوى ؟ !

- إن الرواج ممكن ، ولكن عن طريق آخر - طريق جذب خيط الصعود - فى نفوس الجماهير ، وهذا يكلف مجهودا أشق ولا شك ، ولكنه هو اللائق بكرامة الفن والصحافة ، بل بكرامة الانسان الذى تنبأ نفسه فى كل لحظة للمهبوط أو للصعود حسب الدعوة التى توجه إليه من الداعين . وتلك هى المهارة الصحفية أو الفنية التى تستحق هذا الاسم .

وقد تسألم فى ذلك فيجيبون بأننا نصور الواقع ، فالرذيلة موجودة فى المجتمع المصرى ، وما يزيد عملنا على كشفها والتنبيه إليها ! ونحن لا نجدادل فى أن هناك رذيلة واقعة ، فما لا شك فيه أننا نمر بفترة انحلال خلقى ، ولكن إشاعة هذه الرذيلة والتعريف بها لا يقصر أمد هذه الفترة بل يطيل فيه .

والذى يحدث نتيجة لعرض الفضائح العائلية والزوات الغريزية فى الأدب والصحافة والأفلام والأغاني ؛ هو التمهيد لها فى النفوس ، وتقليل بشاعتها بحكم التكرار ، وإعطاء المثل للواقفين والواقفات على الحافة ، وتسهيل وسائل السقوط والتعريف بها .

خذ مثلا لذلك نشر الصور العارية على البلاج بحجة أنها عارية على البلاج ! إن الذى كان واقعا هو أن مائة امرأة مثلا تراهن ألف عين على الشاطئ ، قبل نشر صورهن ، فأما حين تنشر فإن عشرين ألف عين على الأقل تتطلع الى هذه الأجساد ، وتحرك غرائزها المخنوقة ، وتسبح فى خيالات اليقظة وهى شر الخيالات !

وذلك فضلا عن الحقيقة النفسية الواقعة ، وهى أن رؤية الجسم العارى على الشاطئ لا تثير من الغرائز ما تثيره الصورة المنشورة فى صحيفة إذ أن الخيال فى الحالة الأولى لا ينشط لأن العين تغنيه عن النشاط أما فى الحالة الثانية فالخيال ينشط ليتصور الواقع ، وفى أثناء هذا النشاط تحرك أحط نوازع البهيم الكامنة فى كل إنسان !

ومثل هذا الشر وأكثريه كلما ارتفعت تأودات مطربة وبشيماتها فى الراديو ، وهناك آلاف الآذان تتخيل الحركات والأوضاع من وراء الميكروفون ، وأحط من ذلك ما يقع عندما يتبع مطرب ويتدغدغ وهو يرسل بنبرات ونغمات يجعل منها "الرجل" فى كل حال ! وإذا استطعنا أن نتفكر بعض هذا للمطربات والمطربين ، فإن نستطيع أن نفكر لبعض الأقلام الارتكاس الى هذه الحماة التى يرتكس فيها بعض الكتاب وبعض الشعراء ليناوا الشهرة والرواج . إن بعض الروايات وبعض الدواوين ، صندوق قاذورات غريزية ، ومسيل وحل جنسى ، لا أقل ولا أكثر . وهم يسمونه أدبا وفنا وشعرا بلا نجل ولا حياء !

*
*
*

ليس على الفن إذن أن يخضع لضرورات العيش وصراع الطبقات ، ولكن ليس له كذلك أن يهبط الى تملق الغرائز وإثارة الشهوات . وليس الفن متعطلا لا وظيفة له فى الحياة ولكن ليس من وظائفه كذلك أن يرتكس الى مقاذر الحياة !

إن وظيفة الفن الخالدة ، هى الإشعاع ، الإشعاع الذى يكشف عما فى الكون من جمال مشهود ، وعما فى الغيب من جمال موعود ، وهى تعميق الحياة وتوسيعها ووصلها بالخلود ، وهى الارتفاع عن الضرورات تلبية للرغبة الانسانية فى الانطلاق .

وهو بهذا يمحز الى ترقية الحياة . ترقيتها بالتطلع وبالتسامى وبالتضحية بكل متاع الحياة ، بل بالحياة نفسها عند الاقتضاء .

وليس معنى هذا أن يقوم الفن مقام الوعاظ والخطباء ، فإن له طرائقه ومدخله فى النفوس ، هذه الطرائق التى ليس منها التوجيه المباشر على سنة الوعاظ !

وإن للفن وللصحافة لواجبا مشتركا يؤديه كل منهما على طريقته الخاصة . ولكن لا يدخل فى هذه الطريقة تملق الغرائز وتباية الرغائب ، فإن هناك خيطا آخر فى النفس الانسانية يؤدى الى النجاح والرواج .

سيد قطاب

علاج الفراغ عند المراهقين

كما يصوره معرض فني

للاستاذ صلاح الدين الشريف

لا جرم أن جماعة المراهقين من الشباب ، إذا أصابت التوجيه السليم ووفقت إلى القدوة الطيبة أجادت القيام باعباء التحصيل العلمي أولاً ، وأحسنت الانتفاع بأوقات الفراغ ثانياً ثم تنهياً لما من بعد أن تجيد رسم ما تهدف إليه من مثل في هذه الحياة .

هذا حكم انتهت إلى الجزم به على أثر فراغى من مشاهدة معرض فني أقامته ككلة للشباب في مدينة حلوان ، وتجلت فيه للزائرين من الأساتذة والآباء ، ألوان من عبقرية الجهد المشترك والتعاون الخير ، يقوم بهما الأبناء في أوقات فراغ كانوا يهدرونها حتى عهد قريب ، على غير ما طائل ، في ألهيات تافهة للشباب ، وسط مدينة جامدة صامتة ، حتى جاءهم هذا التوجيه الاجتماعي لهديمهم إلى طريق تزيينها في أفاتين من السلويات والهوايات ددل المربون على صدق أثرها في تفتيح المواهب والملكات في باكر الأعمار .

والواقع أن حاسة النشاط الاجتماعي المتضامن ، لا يستشعر خطرها في بعث دوافع الحياة في النفس إلا القليلون ، وأقل من هؤلاء من يهتدى إلى رسم مناخ هذا النشاط ليجرى في شعابه ويهدف إلى غاياته ، وليخاض من ثم فترة المراهقة ، التي تمتد حتى الخامسة والعشرين ، من شوائبها ومنكراتها ، فيخرج منها المراهقون سليمى القوى مفتحي الملكات ، طامحين في نزعاتهم الشابية إلى أحمل مثل الحياة .

فلو أتيج لنا أن نهتدى إلى هؤلاء الرواد "المجهولين" وسط أثباج من صحراء الحياة ، وأن نراهم قائمين بأدوارهم المرهقة في تخطيط معالم الطريق نحو مستقبل حافل لأجيال الشباب فحتم أن يكون لهم علينا حق الاشادة والتشويه بخدماتهم لإخوانهم في الوطن ، لنبعث في نفوسهم العاملة صدق الإيمان بقداسة الجهاد في سبيل صياغة النماذج الكاملة التي ناملها لشبابنا المصرى من أبناء الجيل الحاضر بل وأبناء الأجيال القادمة .

وليس كجملة الشؤون الاجتماعية سجل واف لإحصاء صور النشاط الاجتماعي في مختلف مفارق الحياة ، واستخلاص دلائل العبرة من مجالى هذا النشاط ، ثم إبراز تلك الصور الاجتماعية على وضع يجعلها بمثابة الأقباس التي تخفz ذوى الغيرة في الانتاج إلى استهدائها في شتى مناحى الخدمة الاجتماعية ، وهى المرفق الجديد الذي تستند إليه وزارة الشؤون ، لبعث رواقده الحياة في المجتمع المصرى ، في هذه الأيام .

تألفت هذه الجماعة منذ عهد قريب في مدينة حلوان . ولعل لجو هذه المدينة القاتر وروحها الخابية ، أثراً مباشراً في إحداث رد فعل من النشاط الاجتماعي تجلى في تسابق أبنائها

الى تكوين الجماعات والأندية بين ربوعها ، لتستنقذ الشباب من حياة جامدة وعيشة مملولة تجرى على وتيرة واحدة ، ولتوجههم الى ألوان من النشاط الاجتماعى يقوم على هوايات رياضية وسوايات يدوية وذهنية ومطالعات ثقافية ، فى شتى الفنون القريبة الى أعمارهم وأذنانهم والوثيقة الصلة بحبب حياتهم ، يطاردون بها الملالة والجود ، ويقطعون بها رتابة الحياة التى تسقم الفكر والبدن .

ويظهر أن هذه الجماعة قد اقتبست من الروح الاغريقى القديم دستور نشاطها الاجتماعى كله . فهى بجانب عنايتها النامة بالتدريب البدنى لأخذ الشباب بالثقافة الرياضية على أحدث أساليب العصر وبنائها ، لا تنى تأخذ أعضائها وروادها بألوان من التريب العقلى عن طريق المحاضرات من ناحية ، ثم تشجيع الاطلاع والقراءة من ناحية أخرى .

ولقد تشققت روح النشاط عندهم الى أفانين من الهوايات والسلويات الراقية ، كان للزعة الرياضية والطابع الثقافى أُرْفى اتقانها وفتيح الملكات عليها . فالصبر وضبط النفس اللذان يجلبان فيما عليه تحف المعرض من اتقان رائع فى الصناعة ودقة بالغة فى رسم الأوضاع وتاليف الأجزاء وتصوير المشاهد ، ثم ذلك الافتنان والابتكار اللذان يطالغان جمهور المشاهدين من كل جانب من جوانب المعرض ، بل إن ذلك الجو الفنى الرائع الذى يغمر الزوار من الآباء المفتنين بمروضات أبنائهم ومبتكراتهم ، لأدلة ناطقة على تغفل الروح الرياضى والثقافى معا فى نفوس أبناء هذه الكتلة العاملة .

والواقع أن هذا المعرض لم يقم إلا على جهود هؤلاء الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة والعشرين ، ولم تتم معروضاته إلا فى أوقات الفراغ التى يصيبونها بعد شواغل الحياة اليومية . والعجيب فى أمرهم أنهم لم يستعينوا فى صناعتها على مواد خارجية كثيرة ، ترهقهم أثمانها ، ولا سيما أن جمهورتهم من ذوى الدخل المحدود ، بل الطريف فى الأمر أن تصاغ هذه المبكرات وتلك التحف من مهملات منزلية تفيض على الحاجة ، وكان ما لها بالطبع الى صناديق القمامة أو أكوام المهملات خارج المدينة ، لولا أن تفتقت أذنانهم الفنية ، بوحى من ارشاد اجتماعى سليم ، الى استخدام هذه المتروكات فى صناعة التحف والنماذج والهدايا والأدوات المنزلية والمكتبية ولعب الأطفال ولوازم الزينة للنساء وغير ذلك من أوجه استعمال لا تحصى ، ثم تجليتها فى نماذج تنطق بالابتكار والطراوة ، وتدل على نمو مبكر فى حاسة الذوق السليم وطابع الثقافة العملية المتقنة .

ولعل هنالك معنى اجتماعيا أعمق دلالة على هذا الجهد الكبير ، وأحدق حكما على موطن العبرة فى أمره ، وأغنى به معنى التضامن الاجتماعى والمشاركة الوجدانية فى العمل والمعاونة الثقافية والتطبيقية فى تحقيق غايات هذا المعرض وتنظيم معروضاته بصورة تجتذب التشجيع والاقبال وتبث على المسارعة الى مكافأة صناعتها بيجازتها وإقتنائها والتوصية الملحفة على إخراج أمثالها !

لقد بدأت هذه الفكرة عند الكثة ساذجة ، شأن أى فكرة اجتماعية أخرى ، ثم نمت عندها روح التعاون فى هذه الناحية ، نموها فى مختلف نواحيها الأخرى ، حتى حمل الأمر رئيسها ومجلس إدارتها على أفراد غرفة للنفوأة ، يقومون فيها بأعمالهم اليدوية من مخلفات المنازل ومهمات البيوت التى لا حاجة لأهلهم بها !

وهكذا نمت روح الإنتاج الفنى الذى تدرج فى دفته وطرافته وتعدد نماذجه مع الاستعانة ببعض المجالات الأجنبية الخاصة بالفنون اليدوية التطبيقية بازدياد الأيدى الهاوية وتكاثر المواد الأولية المهمة ونمو فكرة التعاون بين الجميع ، وإقبال ذوى الأسنان المختلفة على ممارسة الأوقانين الصناعية المختلفة من نشر بالمشار ونحت بالأزميل وحفر بالحافرة وتوشية بفراجين العمباعة ، إلى تصميم الأوضاع الهندسية التى تناهت فى الابتكار والطرافة ، إلى كثير من هذه الأعمال اليدوية التى تتعاون على إكمالها الملكات المختلفة وتقدم بالمشاركة فى النهوض بعبئها أعمار وعقليات متفاوتة ! !

ولا بأس من أن نلم فى عرض مجمل بصور المعرض ومشاهده .

راعى أعضاء الكثة أن تكون الفكرة الأساسية التى يقوم عليها مشروع التصميمات وثيقة الاتصال بالانتفاع المنزلى المعتاد حتى تلبى حاجات ضرورية وكالية معا لا يستغنى عنها المرء فى حياته اليومية .

ففى قسم الأدوات المنزلية ذات الاستعمال اليومي المعتاد ، لوحظ فى تصميم نماذجها أن تكون بسيطة غير معقدة مع وفائها بالأغراض المقصودة من انشائها .

فهناك مثلا علب الروائح العطرية والسجاير والحلوى ومحافظ أشغال الإبرة للسيدات فضلا عن الأواني الخشبية التى تنفع فى حفظ مواد الطهى فى مطبخ المنزل . وقد وضعت على أشكال ومجوم مختلفة روعى فيها سهولة تنظيفها وتناسب أحجامها والغرض المنوطه بها تأديته .

وهناك أيضا نماذج أخرى مبتكرة للحقائب الخشبية التى تستعمل فى حفظ الجوارب والمناديل ، وأخرى من قماش متين ، من فضلات الأقمشة المنزلية ، ضمت أطرافه الى عوارض خشبية تحمل مقبض الخشبية ، وهى تستخدم فى شراء حاجيات الطهى من الأسواق ولوازم التوين الأخرى التى يحتاج إليها المنزل ، فضلا عن مجموعة رائعة من "قبعات" المصباح الكهر بائية . أما الأدوات المكتوبة من حاملات الحابر والأقلام ، إلى حاملات الكتب ، إلى محافظ الأوراق الى كثير من أمثال ذلك ، فقد دلت نماذجها الجميلة على براعة فذة فى الابتكار والصياغة عند هؤلاء الشبان .

وثمة قسم معروضات الأطفال ، الذى حفل باللعب الخشبية المختلفة الأشكال والأحجام . وقد روعى تأوينها بالألوان الزاهية والرسوم المستلحة التى تدخل السرور على الاطفال ، وتجذب حواس التطلع والكشف عندهم ، وهذا قد كان وفقا على الأجانب حتى عهد قريب .

ولقد راعى الهواة أن يبنوا نماذج هذه اللعب على أفكار سيكولوجية طريفة لها أثرها الإيجابي في طبع نفوس الأطفال على جماع المعاني الكريمة . فهم قد خصصوا مثلا قسما من المعرض ، نسقوا فيه من هذه اللعب مشهدا حربيا رائعا كان مسرحه قطعة مصورة من الشاطئ المصرى بمياده وكثبان رماله ؛ ففضل بره بالطيارات الجاثمة في صرايضا والدبابات الزاحفة على مرتفعات الأرض والمدافع المنحوبة الى أهدافها ؛ كما عج بحره اللجى بالبورج والطرادات وغيرها من سفن الحرب ؛ وكلها قد حمل العلم المصرى الأخضر الخفاق ؛ ووزعت الوحدات المختلفة بنظام "ستراتيجى" قصد به معنى حماية شواطئ الوطن وأراضيه، وبذلك أكد ما تنطوى عليه قلوب الشباب من معانى الدفاع لا معانى الاعتداء .

فلمرى أى مشهد يستطيع أن يميز أوتار الطفولة ، بل الرجولة ؛ من جمهرة الزوار ، ويشير في نفوس الصغار وهم نشء المستقبل أحر مشاعر الحماسة الوطنية ، أقوى وأروع من هذا المشهد ! الحق لقد وفق الهواة فيه ، وهم بعد فنية أحداث ، توفيقا بميدا ، حتى جاء دليلا على ما يتخالج نفوسهم من روح وطنى يكنونه في حبات القلوب نحو بلادهم المفدأة .

وثمة جانب آخر من معرض هذه اللعب له أثر إيجابي سلمى ، فتحمل نماذجه كثيرا من المعانى العمرانية الطيبة . ففيه نماذج سعاة البريد والسيارات المدنية والقطر الخشبية والمراكب الشراعية والبيوت الأنيقة الخ... وبعد ، فيقول علماء التربية إن التعليم فى سويسرا وصل إلى مرتبة الكمال ، وإن معاهد العلم السويسرية هى نماذج تحتذيها معاهد العلم فى كثير من بلدان العالم المتقدمين . ولقد بنوا حكيم هذا على حقيقة بارزة ، هى أن هذه المعاهد تعد برامجها والوان نشاطها لتكون قطعة نابضة من الحياة ؛ فالعلم سواء عند الأطفال أو الكبار ، يجب أن يكون - فى رأى السويسريين - تجربة قبل أن يكون اطلاعا فى كتب ؛ وليس ثمة عامل كالفنون والحوارات فى ابتعاث رواقد الملكات فى النشء وتوجيهه توجيهها مايلها إلى ايضاح ميوله منذ بواكر الأعمار ، حتى لقد أُنشئت هذه المعاهد بمثابة "ورش" ومعامل ، قبل أن تكون مكاتب ومدرجات .

إن مبدأ المجددين فى علم التربية ، يذهب إلى ألا يكون هناك أسلوب موضوع يسير البرى وفق قواعده ، بل عليه أن يمضى كامل الحرية مع وحى اللحظة ويدع طلابه يتعلمون عن طريق ما يعملون ، وما يفضلون من حوارات ، وما يجنون من تجارب واختبارات . ونحن بدورنا فى حاجة إلى هذا المنطق التربوى الجديد ، فإن كانت برامج الدراسة الموضوعية ماتزال عاجزة عن تحقيق هذا النشاط العملى المحمود ، فما أحرانا أن نشجع أمثال هذه الجاعات التى أتينا على وصف خدماتها للنشء فى ميدان الإعداد الاجتماعى السلمى .

صلاح الدين الشريف

جرائم الآباء

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

عَنْ لى أن أتناول بيضى اليوم ، موضوع بعض جرائم الآباء فى حقوق أبنائهم ، هذا الموضوع الجوهري الحساس ، مدفوعة الى كتابته بالكثير من الوقائع الحقيقية الأليمة التي قدّر لي أن أشاهد بعضها على مسرح الحياة ، وأن ألمّ بالبعض الآخر من القمص الدامية التي تسوقها لنا الأقدار كل يوم ، فتملاً مسامعنا بماسى الكثير من الأطفال النساء ، الذين قدّر لهم أن يكونوا أبناء لآباء غير أكفاء ، فجماعوا تحت ستار أبوتهم الكاذبة كل ظلم وإجحاف .

وما مقالتي هذه فى الواقع إلا نغمة لؤلؤ الأطفال المناكيد ، ضحايا قضايا الطلاق ، نغمة هى صدى لصيحاتهم المكتومة ، وزفراتهم المحتمة ، عسى أن يكون لها فى نفوسهم المنزفة بعض السلوى ، وفى حياتهم المظلمة قيس من الضياء .

وبما أننى قد تكلمت كثيراً فى موضوعات سابقة عن مشا كل الطلاق وتعدد الزوجات ، فإن موضوعي اليوم سيكون مقصوراً على عرض نتائج استهتار الآباء بالعلاقة الزوجية ، وما فى ذلك من جنابة على أبنائهم ، وعلى المجتمع بهم .

وبما لا ريب فيه أن أمثال هؤلاء الآباء ، ليس لهم وجود تقريباً إلا فى مجتمعاتنا المصرى ، حيث يعتبر الزواج والطلاق أسهل بكثير من شراء ثوب جديد ، هنا فقط ، حيث تنتشر قوضى التلاعب بروابط الأيمرة ، تكثر مخازى الآباء وتنتشر جرائمهم فى حقوق أبنائهم الذين هم بناء المجتمع الجديد .

وإنه إن المخجل حقاً أن نرى بين ظهرائنا أمثال هؤلاء الرجال ، الذين لا يستنكفون من العبث بالشرائح سعياً وراء أعوانهم وأنائيتهم ، متناسين أطفالهم النساء ، ولا يضيرهم

أو ينجلهم أن يدفعوا كل يوم الى المجتمع بأبناء جدد يضيفونهم الى سجل النحاسة والبؤس ، ولا يهتمهم إلا ما تصوّره لهم عقولهم الخسوية من سعادة مرتقبة في كل زواج جديد ، فيخبطون في طرقاتهم دافعين أمامهم أطفالا أبرياء الى مستقبل مظلم مجهول ، لا يدقون فيه إلا العاتم ، ولا يتقبلون الا على فراش من الألم والدموع .

ومع ذلك فالرواية مازالت تمثل كل يوم صرات ، والمسرح عامر أبدا بالضحايا ، يتطلع الى المزيد ...

هؤلاء الضحايا الذين لا يشعر بهم أبائهم إلا بعد أن يضطدوا بمشكلة النفقة ، وبعد أن يضطروا للوقوف أمام المحاكم حيث يترأى للآ ما خفى من أخلاقهم وحيث يتناقل الجميع قصص مخزيمهم وفصائحهم عندئذ فقط يتنبهون للحقيقة ، لا يكفروا عن أخطائهم ، بل لينتقموا من أطفالهم التعساء بانتزاعهم من بين أحضان أمهاتهم لضمهم الى جناح الخدم في منزل الزوجة الجديدة .

هذه ظاهرة مؤلمة ، ولكنها مع الأسف حقيقية تحدث في مجتمعنا كل يوم ، وليس منا من لم ير أو يسمع شيئا عن قسوة امرأة الأب وعتتها ، وما يصيب من يلقيهم القدر بين يديها من أبناء الزوج ، وليس منا من يجهل كيف تنفن في صنوف العذاب لهم وكأن بينها وبينهم عداوة خالدة لا تزيلها الأيام . ولا غرو في ذلك فهي تعتقد أن أبناء الزوجة الأولى هم أداة البأر لها من منافستها على حدّ ظنونها الخاطئة .

وإني لأسوق لكم هنا قصة صغيرة حقيقية لسببها بذاتي ، ولم يزل لها في نفسي جرح أليم ،

هذه القصة لأب من زواج ، جعل من الزواج والطلاق هوايته المفضلة ، وجعل لكل زوجة مطلقة عنده طفلة أو طفلين .

وإنه لمن سوء الحظ طبعاً أن تكون للإنسان قرابة ولو بعيدة بأمثال هذا الرجل ، وأن تضطره الظروف السيئة طبعاً الى زيارة عائلته ، ولكن الحقيقة مع الأسف أنني فعلت ذلك ، وقضيتها ثلاثة أيام ، رأيت فيها من المأسى ما يعزق القلوب ، ومع ذلك فهي مأس مستمرة لاتعدى جدران المنزل .

لذلك الرجل بحلة أبناء جمعهم في منزله الجديد واستعاض بهم عن الخدم . فكبراهم
شابة أوشكت أن تودع العقد الثالث من عمرها ، جميلة رغم شدة نحولها وشحوبها ، قد
جعل منها ظلم الأيام شبحا ساريا ، فاذا مشت فهي تتمايل على نفسها من فرط الإعياء ،
وإذا تكلمت فلتخرج كلمات مضطربة خائفة ، وهذه هي الخادمة الأولى في المنزل ، عليها
التيام بجميع شؤونه ومسئولياته ، من طبخ وغسل ومسح أرض وغسل أواني المطبخ ،
ومكانها المختار الانزواء في ركن المطبخ طول اليوم ، وتدم الظهور أمام الضيوف .

وناهيك اذا جرؤت المسكينة يوما على الادعاء أمام أحد بان هذا البك المحترم هو والدها ،
شدت ولا حرج عما يصيبها من أنواع الايذاء وما ينالها من الإهانات والقسوة .

وللزوجة في ذلك عذر عجيب ، وهو أنها لاتود أن يعلم انسان بأن زوجها قد تزوج من قبلها ،
حرصا على مركز عائلتها الكبيرة .

أما باقي الأطفال ، الذكور منهم والإناث ، فكانهم في (قلة) أبيهم غرفة السطح
العارية ... يظنون بها دائما انتظارا لعمود أختهم ، ولا يغادرونها إلا إذا احتاجت المهائم
ربة البيت الى شيء هام ، أو وقت شراء الخضراوات ولوازم المنزل ، أو لخدمة الضيوف
دون التفوه بكلمة غير (نعم وحاضر) وجهيههم مثال البؤس والمرض ، لم يترك السعال الحاد
صدر أحدهم إلا وحالقه .

وإذا كنت جريئا وأمكنك أن تتحدث عن ضرورة التحاقهم ببعض المدارس احتراما
لمكانة أبيهم ، فاجأتك الزوجة بأنها لا تستطيع أن تقوم بالمصاريف المدرسية لهذا الجيش
من الصعاليك وتحرم أبناءها - وأبناء البك طبعا - من التربية العالية التي تتفق ومكانة عائلتها
الاجتماعية .

وكان حرمان هؤلاء النساء من منازل أهباتهم ورهائهن قد حرّمهم أيضا من التمتع لابل
أبيهم وعنايته فحسب ؛ بل من الانتساب أيضا الى أبوته .

ولا يمكنك طبعا مهما كنت كريما أن تفكر في إبداء أي نوع من أنواع العطف لهؤلاء
النساء ، لأن ذلك على حد قول الزوجة يجعلهم يقرءون عليها ويصدقون أنهم مساوون
في المكانة لأبنائها المنضلين .

فقد حدث أُمّى بهذه المناسبة أن ابنة الزوجة كانت تلعب بإحدى الدمي فسقطت منها على الأرض وكانت صغرى أبناء الزوج على مقربة منها لقضاء بعض الخواج فسارعت لالتقاطها لها، وبما أنها كانت هي الأخرى طفلة ساذجة فقد أبقمتها قبلا بين يديها وفي عينها تم وأسف ، وعندئذ انقضت ابنة الزوجة عليها واختطفقتها منها وهي تقول (أنت يا بنت يا خدامة عايزه تلعبى بعروستى) ، وضحكت الأم للنكتة البارة وتأملت أنا ، ولكننى مع ذلك صمت إذ لم يكن لى من الصمت بد وقتذاك .

وإنى لو اردت الإطالة فى هذا الأمر لذكرت عجبا ، ولو نوهت بكل ملاحظاتى عنه لما عبرت عن بعض ما جال فى نفسى من عبارات الاشتمزاز والاستنكار .

هذه هى بعض أنواع المعاملة التى يلقاها أبناء الطلاق ، ففى محيط ذلك الحجم يشبون ، فإما أن تنتهى حياتهم بين هاتى الظلمات ، وإما أن يشغل كاهلهم الظلم فيفرون الى المجتمع . ماوى الجميع ، فيكونون فيه نواة فاسدة ، تنخر فى جنباته وتبشره بجيل فارتوضع ، جيل يتفشى فيه الإجرام ، وتهون أمام أبنائه كافة سبل العيش مهما انحدرت الى الجريمة .

ومن هنا يتضح لنا كيف يسمى الرجل المزواج الى المجتمع ، وكيف يتبرمجما أمام محكمة الانسانية ، يستحق أشد أنواع الاضطهاد والاحتقار .

وإنى أرى مما تقدم أن مجرد سلب السلطة الأبوية الذى تهتم به وزارة الشؤون الاجتماعية من أمثال هؤلاء الآباء أقل مما يجب من أولى الأمر ، حيالهم ، لأن أطفالهم الأبرياء يتطلعون الى من يدافع عن مستقبلهم الضائع بحرمان المجتمع من فائدتهم ، وهذا لا يتأتى إلا إذا سنت القوانين الشديدة لحماية من شرور آبائهم ، تلك القوانين التى تضرب بيد من حديد ، فتحد من عبث أولئك المستهترين من الرجال حتى تتفتح عيونهم على حقائق مهالظم واستهتارهم ، لأن سلب السلطة الأبوية منهم سيكون غالبا بعد ما يبلغ الأطفال مبلغ النهم والادراك ، حيث يكون هؤلاء الآباء قد نجحوا فى رسم مستقبل أبنائهم كما شاء لهم هواهم . ولذا فإن سلب سلطتهم الأبوية فى ذلك الوقت ان يغير من الأمر الواقع شيئا . وفائدته لما أثر عظيم إذا كان الأمر معكوسا فقط ، أى إذا كانت الأم هى التى قامت بتربية طفلها على نفقتها ورسمت له مستقبلا ممكنه من شق طريقه فى الحياة فأصبح نافعاً لذاته وللجتمتع . عندئذ فقط حيث

لا يكون هناك أى حق للآباء على أبنائهم ، تظهر جيدا نتيجة سلب السلطة الأبوية منهم ، فإنه كثيرا ما يحدث أن نرى أبا ليس له حق فى الأبوة إلا اسمها ، كثيرا ما نراه يقف فى طريق أبنائه ، إذا فتح الله عليهم بمستقبل حسن ، مستغلا لفظ الأبوة فى سلب أموالهم ، وقد تبلغ به المرأة أحيانا الى حق مناقضاتهم وذلك اذا ما سدّت فى وجهه أبواب الرزق وانتقم الله لأبنائه الضعفاء .

وخير ما يمكن عمله حدّا لتلك الجرائم المتواصلة هو سن قانون يجرم على الآباء ضم أبنائهم اليهم إذا كانوا متزوجين من غير أمهاتهم على أن يلزموا بنفقاتهم حتى يبلغوا سنا تؤهلهم للكسب ، وتقطع هذه النفقة إذا تزوجت الأم ، ودنا أيضا لا يسمح للرجل المتزوج بضم أبنائه ، لأن زوج الأم مهما كان قريبا فان يباع فى هذا المضمار بعضا من طغيان زوجة الأب .

وإنه لمن المفروض طبعا ألا يسيء زوج الأم إلى أطفال المرأة التى أحبها وارتضاها زوجها ، وإننا إذا أحصينا مآثر أزواج الأمهات على غير أبنائهم لما استطعنا لما حصرنا ، ولوجدنا أنه خير للطفل أن يظل فى حضانة أمه المتروجة على أن يكون مع أبيه المتزوج ، وقد يتهمنى هنا بعض الرجال بالتحيز إلى بنات جنسى ، ومع ذلك فإننى أترك لضائهم الحكم الصحيح فى هذا الأمر ، مع تقى وإيمانى بأننى قد نحت فى مثالى هذا نحو إنسانيا للصالح العام بعيدا عن التطرف والمغالاة ، نحو هو أمنية تتردد فى قلوب الكثير من الناس ممن يميزون الحق ساطعا من بين الظلمات .

أما كان الأطفال ممن وسّمهم القدر بميسم الشقاء ، فقدوا أمهاتهم ، ولم يكن لهم بد من الالتجاء إلى بحيم زوجة أبيهم ، فليس هناك كما أرى سوى حل واحد ، وهو أن يضمن أولو الأمر ما يكفل لهم شق مستقبلهم فى الحياة على نحو تفيد منه الانسانية ويرقى المجتمع ، وذلك بتكوين هيئة حكومية اجتماعية ، تكون مهمتها بحث حالات من يتقدم إليها ممن فاض بهم الألم وطفح الكيل من عسف أبيهم وجور زوجته ، حتى يمكننا أن نرغم هؤلاء الآباء غير الأكفاء على العناية بمستقبل أبنائهم ، وبذلك نعدون الجيل الجديد من عبث الاستهتار بالشرائع ، ونرقى بمستواه كما نتمنى أن نراه .

وأحسبني فى هذا المثال قد أدت رجاء لشموس كسيرة ذاقت من جرائم الآباء ما ذاقت ، وقاست من ظلم الأقدار ما قاست .

ولست أشك فى أن هذه الكلمة ستجد من أولى الأمر اهتماما سيذكركه المجتمع ما بقى ، وسيدونها لهم الدهر بحروف نورانية بارزة .

زيدب محمد حسين

الحياة عادة

نلاحظ أن الذي يعتاد أن يتناول في ميعاد معين قدحا من القهوة أو كروبا من الشاي أو غيرها من المنبهات أو المخدرات مدة من الزمن لا يستطيع أن يؤدي عمله ولا أن يسلك السلوك الطبيعي في حياته إذا لم يتناول ما اعتاد أن يتناوله في ميعاده المصين ، وربما كان قد تناول هذه الأشياء في أول الأمر على سبيل التسلية أو الترويح أو التقايد ، غير مصدق أنها تصبح عادة له تتحكم فيه ، وتخل بنظام حياته الطبيعية إذا لم يخضع لحكمها !

وعادة المخدرات أو المنبهات هي التي تبدو لنا واضحة كمثل العادة المتحكمة ، ولكن الواقع أن الحياة كلها عادة كبيرة يجمع ما فيها من الصغائر والكبائر ، وأن الفارق بين فرد وفرد أو بين شعب وشعب ، إنما هو مجموعة عادات تختلف في هذا عن ذاك ، فتكون شخصية للفرد أو للشعب تختلف عن شخصية سواه .

والفرق بين الإنسان المهذب الراقى ، والإنسان الجلف المتخلف ، هو مجموعة عادات في الحركة والكلام ومخارج الصوت والنظرة والإشارة وطريقة الأكل والشرب واللبس والجلوس والضحك . . . إلى آخر الحركات اليومية التي يؤديها الإنسان بحكم العادة وبدون انتباه في غالب الأحيان .

وحقيقة أن هذه مظاهر خارجية ولكن لها دلالاتها على الحقائق الباطنة في النفس الإنسانية فهي تصدر عقوا بلا تفكير ولا تدبير فتدل على الممدن الأصيل لهذه النفس ، وقد يتناولها التكلف فيدل هذا التكلف نفسه على فقر النفس في هذه الصفات المتكلمة وعلى أنها حديثة عهد بها ، ولكن هذا لا ينفي أنها حينما تزاول مدة كافية تصبح طبيعية ، وتترك آثارها في الحياة الباطنة ، وتؤدي إلى التهذيب الحقيقي بعد مدة طويلة أو قصيرة .

وقد قلنا إن عادة المخدرات والمنبهات وأمثالها ليست هي العادة المتحكمة الوحيدة ، وأن الحياة كلها مجموعة عادات . وهذا يلفت نظرنا إلى وجوب الحرص على تكوين عادات صالحة لأولادنا ولأنفسنا منذ بدء الحياة ، فعظم العادات يتكون في سن مبكرة وعن طريق القدوة والتكرار في وقت لم يقبض فيه العقل ليوافق بين الصالح والنافع منها ، أي أن معظم العادات يغزونها ونحن على غير استعداد فيترك في حياتنا أثرا دائما لا حيلة لنا فيه ، أو يحتاج منافي مقاومته حين نتنبه لخطره إلى مقاومة عنيفة قد نفلح في نهايتها أو لا نفلح حسب تمكن العادة ومقدار ما فينا من قوة الإرادة (التي هي الأخرى عادة من العادات تربوي وتتمى كثيرها من عاداتنا الكثيرة) .

وكلنا رأى بعض الناس الذين يلبسون ملابس وجبهة ويركبون السيارات في بعض الأحيان . ثم يأتون مع ذلك بحركات قذرة سخيطة كالبصق على الأرض وفي جيوبهم المناديل أو وضع الاصبع في الأنف ، أو التجشؤ بصوت مسموع في وجوده الجالسين ، أو الضحك بطريقة خارجة ، أو التحدث بنغمة خاصة ، أو التفوه بانفاظ وتعبيرات وقحة . إلى آخر أمثال هذه البسائط المؤذية التي لا تترك مجالاً للشك في البيئة الأولى التي نشأ فيها أمثال هؤلاء الوجهاء المزيفين وراء المظهر ، والتي تدعو لسقوط كرامتهم مهما كانت هذه المظاهر !

وقد لا تصل العادات السيئة الى هذا المستوى من الانحطاط ولكنها تظهر مثلاً في عدم ضبط نبرات الصوت حسب المناسبات في الحديث ، أو عدم مراعاة الأدب اللائق في المخاطبة والرد بالإسغاء الى المتحدث وإفساح المجال لرأيه ما دام مقولاً ومناقشته في حدود الموضوع المعروض . . . وقد يبدو أن ليس للعادة أثر هنا ، ولكن الواقع أن هذه التصرفات مبنية على العادة المستقرة من القدوة في البيئة التي ينشأ فيها الإنسان ، ويلتقط عاداتها بدون انتباه .

بعض الناس يفتك في الطريق فيسلم عليك كأنه يصارعك ، أو يلمحك ، من بعد فلا يستنكف أن يزقك عليك كالمصروع ، أو يتحدث في مسائل خاصة بصوت كصوت الشجار غير ملق باله الى الركاب أو الجلوس من حولك ، أو يمد يده ليتناول قلمك من جيبيك ليكتب أو سيجارتك من يدك ليشعل سيجارته بكل بساطة !! فما الذي يحلمهم على مثل هذه التصرفات ؟ إنها العادة بلا جدال .

وهذا الرجل الذي يفربل في مشيته وهذه السيدة التي تتخلع في سيرها ، وهذا الشاب المنحني التامة ، وهذا الصبي الذي يظلع اذا سار . . . ثم هذا الذي يتحدث فيمضع الكلمات ويخطف الحروف ، وهذه التي تمذف من فيها بالكلمات كالمدفع الرشاش . . . أو ذلك الذي يتفتن على وجهك لأنه يتحدثك أو يزغذك عدة مرات لأنه يسترعى انتباهك ، أو يضع فمه على أنفك لأنه يسر إليك بالحديث وهو يرفع صوته فيسمع الجيران . الخ . هؤلاء جميعاً ما شأنهم ؟ انهم لم يجدوا من يقوم خطواتهم أو يهذب حديثهم ، أو يعودهم العادات الصحية والآداب المرعية ، في مثل هذه التصرفات اليومية .

وهذه الأمثلة المبسطة تلفت نظرنا الى أثر العادات الصغيرة في حياة الإنسان ومركبه وحكم الناس عليه ، فإذا ارتقمنا منها الى ما هو أكبر منها وضح لنا هذا الأثر بارزاً ملموساً ، ونحن نتخار بضع طوائف من هذه العادات المتحكمة .

فالعادات الصحية كالنظافة والرياضة ، والمهجو المبكر ، وانتظام التغذية ، إلى آخر هذه العادات ذات أثر حاسم في الصحة الفردية والشعبية ، وجميعها تكون بالمرانة والتعود

في سن مبكرة جدا أكثر مما يعتمد الكثيرون من الآباء والأمهات الذين لا يلتفتون الى أطفالهم الا بعد سن معينة ؛ بل إن بعضها ينشأ عن غير وعي بحكم المناظر التي تقع عليها عيون الأطفال وتالفها أنظارهم في سن الطفولة المبكرة .

و كثيرا ما نرى الصبي الذي يصحو في موعد معين كل يوم فيغسل يديه ووجهه ورأسه ورجليه بطريقة آلية وينظف طربوشه وبذلته وحذاءه بينما هو يفكر في الدرس الأول ، ويسير منتصب القامة متوسط السرعة ، ويعود في نهاية اليوم ليخلع ويفسل ويرتاض ثم ينام في ساعة معينة أو يذهب إلى المزير ليأتم بعد غسل وجهه ورأسه . هذا الصبي لا يصنع هذا كله لأنه يدرك فائدته ، ولكن لأنه تعود فاعتاد . وكل منا يستطيع أن يتنبأ لمثل هذا الصبي بمستقبل طيب على الأقل من الناحية الصحية ، وهي ذات أثر عميق في الحياة العقلية والنفسية ، وفي الحياة الاجتماعية كذلك .

ونحن نصف شخصا ما بأن ذوقه سليم . ونعني بهذا ذوقه في الألوان والروائح والطعوم وذوقه في الجمال والفنون ، ثم ذوقه في التصرفات الاجتماعية . وهذا الذوق هو ثمرة عادات خفية استقرت في الحس والنفس منذ الطفولة ، حين وقعت عين هذا الطفل على مناظر متألفة منسجمة ، واستمعت أذنه الى نغمات وأصوات لا تشاز فيها ، ونشق أنفه روائح هادئة رقيقة ، واعتاد أن يرى من المحيطين به حركات وإشارات وانفعالات مهذبة في مناسبات خاصة ، فانطبع هذا كله في حسه ، وأصبح يسعفه في المناسبات بدون كد ولا تعمل .

فاذا ارتقمنا إلى الحياة العقلية والعملية والاجتماعية لاحظنا أن هناك أفرادا نسميهم أصحاب الشخصية القوية ، وأفرادا نسميهم ضعاف الشخصية . وأشخاصا محبوبين من الوسط وآخرين مكروهين ، وأناسا جادين في حياتهم وآخرين هازلين . وجماعة يمتازون بالدأب وقوة الإرادة وآخرين متقلبين مضطربين إلى آخر هذا الانمط التي لا تنتهي .

ولو رحنا نحصى الفوارق بين هؤلاء ودولاء لوجدناها في النهاية مجموعة عادات تحدد تصرفاتهم في وقت معين فتفترق بينهم الطريق . ولا نستطيع أن نشكر الوراثة والمواهب الطبيعية ؛ ولكن الوسط هو الذي يوجه هذه الوراثة والمواهب ، بتكوين عادات معينة هي التي تحدد الموقف طيلة الحياة .

خذ مثلا لذلك ما نسميه " القوة المعنوية " فإلى هذه القوة المعنوية ؟ إنها قوة الاحتمال والتماسك والرجاء في حالات الخطر والضغط والشدة . وكيف توجد هذه القوة ؟ إنها توجد بعد مواجهة عدة حالات من الحرج في وسط عائلي أو اجتماعي يملك أعصابه ويحمل الكارثة حتى تمر... فالطفل الذي يرى أمه أو أباه أو أحد المشرفين عليه باستمرار يصرخ ويخزع ويفقد صوابه لأن النار قد شبت في المنزل أو لأن حائطا انهار أو لأن أحد أفراد الأسرة

أصيب في حادث ... لا يمكن أن ينشأ شديد القوة المعنوية ، بعكس طفل آخر تقع عينه في مثل هذه الحوادث على ثبات وتماسك وتحمل ، فإذا فزع نهن عن هذا النزاع وأشعر بالطمأنينة والأمن ، فهذا هو الذي نسميه فيما بعد "رجلا ذا قوة معنوية" .

والولد المدلل الذي تجاب رغباته جميعا ، ويحس أن الكل في خدمته ، وأن له حقوقا على الجميع ولا حق لأحد عليه ، وأنه يجنب جميع المتاعب والعراقل ، وتمهد له شئون الحياة في يسر وعمومة ... هذا الطفل لن يكون أبدا رجلا ذا قوة معنوية ، لأنه اعتاد ألا يواجه التبعات والأخطار ، فإذا واجهها فلما أن ياجأ إلى سواه ليحملها عنه وإما أن تخور قواه ويستسلم لدى الصدمة الأولى .

والحياة في المجتمع . إنها كذلك عادة . فالولد الذي لم يتعود منذ نشأته أن يعامل الناس وأن يتحدث معهم ويجلس إليهم ويأخذ منهم ويعطى ، ينشأ نجولا مرتبكا ، جادلا بالآداب الاجتماعية ، غريبا عن البيئة العامة وهو الذي نسميه فيما بعد (لحمة) أو شاذا، والذي يحتاج — بعد أن يكبر — إلى مجهود عنيف يبذله لمواجهة المجتمع الذي يعيش فيه ، وقد ينجح في هذا المجهود أو يفشل حسب الظروف .

والمهم أن المعرفة النظرية لا تجدي دون المزاولة العملية ، فالطفل الذي يلقتن أن يسلم على الضيوف مثلا دون أن يعتاد التسليم إليهم بالفعل لا يجيد ذلك ، والتسليم على الضيوف مثل صغير لبقة التصرفات الاجتماعية الكبيرة .

وهذا المثل يلقت نظرنا بشدة إلى الأخطاء الشائعة التي نرتكبها في إعداد شباننا وشاباتنا للحياة العملية في المستقبل .

فالمعروف أن الشاب المصري لا يقل في معلوماته — بل هو يزيد — عن زميله الأجنبي ولكنه لا ينجح في الحياة نجاحه . لماذا ؟ لأن الطفل المصري ثم الشاب المصري ينشأ في شبه عزلة اجتماعية عن الوسط الذي سيواجهه في حياته العملية . فالمدرسة تحول بينه وبين هذا الوسط طيلة مدة الدراسة حتى في المدارس العملية ، ولا صلة بينها وبين سوق العمل والتلميذ والطالب يبقى في هذه العزلة مدة تراوح بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة ثم تقذف به إلى المعترك بعد ذلك مجردا من جميع التجارب العملية والاجتماعية ، فيجتار ويرتكب فإما أن ينكص على عقبيه بعد ذلك يطلب الأمن والسلام في دواوين الحكومية ، وإما أن يتنجم الميدان ولكن في حذر وتردد يقعدان به عن مجاراة زميله الأجنبي الذي خبر الحياة وهو يتلقى الدروس بالمدرسة ، لأن تقاليد هذه المدرسة وتقاليد الأسرة التي يعيش فيها تساعده على الخبرة بالحياة .

وهذه الفتاة المصرية التي نترعها من حياة البيت انتزاعا مدة عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما في مدرسة لا صلة بينها وبين البيت ، ولا مشابهة بين جوها وجوه . لا في عمل ولا

في مجتمع ولا في مهنة ، ثم نطلب إليها بعد ذلك أن تعود الى البيت زوجة ، بعد ما اقتربت عنه هذه الغربية النابوية المديدة . الغربية الروحية والغربة العملية والغربة الاجتماعية . ألا تكون متعتين حين نطلب الى فتاة من هذا النوع أن تحيا وتتغنى في هذا الجو الغريب .

الفتاة التي اعتادت أن تنهض في الصباح المبكر فتتطرق الى الشارع ومنه الى المدرسة حيث تلتقي بعشرات الوجوه في الطريق وبعشرات الوجوه في المدرسة من زميلات ومدرسات ومدرسين ، ثم بعشرات الوجوه في الكلية من زميلات وزملاء وأساتذة . حتى إذا عادت في نهاية اليوم عادت مثقلة بالواجبات المدرسية جلست الى المكتب والكتاب ، أو ذهبت الى زيارة زميلة أو زميلات أو استقبلت لحدث في الجو المدرسي والحياة المدرسية . فإذا كان يوم عطلة فهي في رحلة مدرسية أو مشاهدة سينمائية أو مسرحية أو رياضة جماعية على كل حال .

هذه الفتاة بأى حق نستطيع احتسابها في المنزل بعد ذلك زوجة مسؤولة وربة بيت مفردة ، بعد هذا الضجيج وهذا الاختلاط وهذه الحياة الاجتماعية التي أصبحت عادة لها مدى خمسة عشر عاما كاملة .

وحين يصبح الصباح ولا تنطلق هذه الفتاة الى الشارع فالى المدرسة كما اعتادت رجالها أن تحملها كل صباح . كيف تطبق الحياة وتصر على هذا الحبس الفظيع ؟ ثم نطلب إليها بعد ذلك وفوق ذلك أن تشرف على بيت ، وأن تكون مسؤولة عن أطفال ، وهي التي ظلت طفلة طول هذا الوقت معقاة من كل شؤون البيت لأن النجاح في الامتحان العلمي النظري والحصول على الشهادة المدرسية هو كل ما يطالها به أهلها طيلة هذه السنوات . يجب أن نحسب حسابا لهذه الصدمة التي تصيب كل فتاة وأن نعذر هؤلاء الفتيات اللواتي يحطمن أعشاشهن ويطنون منها في العام الأول ، فهؤلاء فتيات لم نهيئن نحن للاحتباس في الأعشاش مهما كانت مغرية ، لأن سنى الدراسة طويلة ، والجو المدرسي بعيد كل البعد عن الجو العائلي ، والواجبات المدرسية ثقيلة لا تدع لمن وقتنا للاشتراك في الحياة المنزلية بعد المدرسة ، ومقتضيات الحياة في المدارس جميعها تتنافر مع مقتضيات الحياة داخل البيوت .

وهناك الفتيات المدلات اللواتي قد اعتدن من أهلهن إجابة جميع رغباتهن بلا قيد ولا شرط بحجة أنها مطالب بريئة ، كما اعتدن ألا يعنين بأحد بيننا تتوجه إليهن العناية من الجميع وألا يسألن عن شيء وسواهن يحتمل جميع التبعات .

هذا الصنف من الفتيات يفشل كل يوم أمام أعيننا في الحياة الزوجية ذات التبعات الكثيرة ، لأنهن يصطلن من إرادة أخرى غير إرادتهن وبمشكلات لم يعتدن مواجهتها من قبل ، ويتدير منزل ورعايه أطفال ، وبعشرات من ملابس الحياة اليومية مع الخدم

وغير الخدم ، ولا حياة لمن في هذا كله لأنهم لم يعتدوا هذه الحياة . والعادة أقوى سلاح في معترك الحياة .

والبيوت التي اعتادت أن تترك للربيات وللخدم الإشراف على أطفالها معظم ساعات اليوم ، إما لاعتقاد سيداتها أن هذا من مقتضيات الحياة الأرستقراطية ، وإما لأنهن مشغولات بتفاهات الحياة عن الواجب العائلي المقدس وعن كل اهتمام صالح .

هذه البيوت لا تعرف ماذا تصنع بالجيل المقبل . لا تعرف أن هؤلاء الأطفال سيحصلون على عاداتهم المستحكمة التي تصرف حياتهم في المستقبل من هؤلاء الخدم الذين نعرف درجاتهم الاجتماعية . فان السيد فلان سيأخذ عاداته في الحركة والحديث والإيماءة والإشارة والمشية والضحك من الخادم فلان ثم ينسب بعد ذلك للسيد فلان !

لأنبل سيأخذ قاموسه اللفظي مما يسمع من الخادومات والخدم ، وستكون تعبيراته من بذىء التعبيرات والكنايات بينهم ، وستحفظ وأعيته الباطنة بكافة الإشارات الوقفة ، والحركات الساقطة والانفعالات القبيحة ، وحسبه أن يحمل من أبويه نسبة إليهما ولقبه الكريم ؟

هذه البيوت "الراقية" كما يسمونها ترتكب كل يوم مثل هذه الجريمة في حق الجيل المقبل ، وتخرج للجمع أحمق وأرذل الفتيات والفتيان ، الذين نشأوا في أحضان الخدم ، واستقوا عاداتهم وألفاظهم وأخلاقهم من أفقر الطبقات الاجتماعية في هذا البلد ، ثم تورثهم هذه البيوت القابها وأموالها وجاهها فتجعل لهم بذلك السيطرة على المجتمع ، وتبطلهم قذوة للآخزين ، وهم لا يتعلمون من هذه البيوت إلا اسمها ، أما نسبتهم الحقيقية فيجب أن ترد إلى طبقة الخدم المنحطين ؟

هذه هي الجريمة السافرة التي ترتكبها المرأة في هذا الجيل ويرتكبها الرجل معنا . وهي جريمة تقع مرة نتيجة للفهم الخاطئ لمقتضيات الأرستقراطية الكاذبة . وتقع مرة نتيجة لمقتضيات العصر التي تتيح للمرأة المتروجة أن تعمل في الحياة العامة ، فتضطر حتماً أن تكمل شأن طفلها إلى خادم أو خادمة (فليس عندنا صربيات بالمعنى المهذب المعروف) وينشأ هذا الطفل سيذا في مظهره خاما في خلقه ونفسيته بحكم العادات التي أخذها بالقذوة وبالتلقين ، بالحياة عادة . فلنتجهد ، أن نرود أطفالنا بمجموعة صالحة من العادات ، ندرهم عليها تحت إشرافنا بالقذوة وبالتلقين وبالممارسة . فهذه هي الأسس الثلاثة لتكوين العادات . والممارسة أهمها فالعادة لا تتكون إلا بتفويض الأفعال وتكرار هذا التفويض حتى تثبت في المجموع العصبي وتتؤدى بعد ذلك بدون جهد بل بدون انتباه .

أما الذين فاتتهم هذه العادات في دور الطفولة ، فلا يأسوا ، وانهم ليستطيعون أن يحصلوا على مجموعة من العادات الطيبة ولكن بعد الجهد الطويل .

الانتفاع بالعقل

بقلم الأستاذ صلاح الدين الأيوبي

رئيس ادارة البيع والرهن بوزارة التجارة

من أنيد وأمتع الدراسات الوقوف على نظريات العقل الحديثة التي بزغت بها أبحاث العالم النمساوي سيجموند فرويد الذي يعتبر أول من درس العقل ، وأبحاث من تبعه من تلاميذه في مختلف البلدان الذين تناولوها بالشرح والتعليق .

ومؤدى هذه الأبحاث أن لكل إنسان عقليين : أحدهما هو العقل الواعي الذي نقرأ به هذه الصحيفة ، فتعى شكلها وشكل الحروف المرسومة عليها والمكان الذي أنت فيه الآن ، وما هو موزع في هذا المكان من أشياء أو أذث أو خلافه .

ومن هذه الأشياء ما تعى به بجلاء ووضوح مثل معانى الكلمات التي نقرأها في هذا المقال ، ومنها ما لا تعى به بهذا الجلاء والوضوح ، مثل دقائق الساعة إن وجدت في الغرفة ، أو شكل الستائر المسدلة على نوافذها ، أو ألوان الصور المعلقة على حوائطها ، فكل هذه الأشياء تعتبر واقعة في مجال وعيك ، غير أن الأشياء التي تعى بها بجلاء ووضوح تعتبر واقعة في بؤرة هذا المجال ، والأشياء التي لا تعى بها بجلاء ووضوح تعتبر واقعة في حاشية هذا المجال . ويتحول الوعى من الحاشية الى البؤرة ومن البؤرة الى الحاشية بأسلوب طبيعي وبسيط كما تتم عملية التنفس .

ولا يقتصر مجال الوعى على ما هو خارج التنفس ، وإنما يتناول أيضا ما هو داخل النفس ؛ فأنت تعى بأنك تقرأ هذا المقال ، ويسمى هذا الوعى وعيا بالذات . وهو يلعب دورا هاما في حياة الانسان لأنه يمكنه من أن يجعل من نفسه رقبيا على نفسه ويوجهها للتوجيه السليم . والرجح الذى ينتاب الخطيب ويربكه إنما هو منظر من مظاهر إساءة الوعى بالذات ، وقد أمكن وضع علاج لهذه الحالة وغيردا من العيوب النفسية .

وهذا العقل الواعي هو عقل الانتباه والملاحظة والتفكير والتروى والتذكر والتخيل والابتكار ، وهو العقل الذى يقدر به الانسان شؤون يومه ، وهو العقل الذى وضع العلوم والثقافة الحديثة . وقد لوحظ أنه رغم تضجبه ورغم امتيازه بميزة الوعى ، لا يستطيع الثبات على مواصلة عماله وقتا طويلا ، فلا يمكنه طول البقاء على الوعى لأنه لا يتحمل التعب كثيرا .

وقد لوحظ أيضا أن مكانا ما في النفس دائبة في انتهاز لحظات التعب التي تناب هذا العقل الواعي وتغتنم فرصة غفلته ، فتتدفق بخواطر تقف في سبيل الانتباه والملاحظة والتفكير والتروى والتذكر ، وكل أساليب العقل الواعي .

وقد تكون هذه الخواطر عن وليمة كانت بالأمس ، أو عن حفل ينعقد غدا وقد دعيت إليه ، فتسوق اليك هذه الخواطر أنك قد قمت خطيبا في المدعوين ، أو أنك جلست إلى شخص محبب اليك ، وأحيانا تسوق اليك الخواطر اكتشافا بمزية في شخص من أصدقائك لم تكن أدركتها فيه من قبل ، وأحيانا تابع عليك حادثة ماضية فيمنع الحاحها العقل الواعي عن متابعة أساليبه .

ويقال حينئذ إن ذهك قد شرد وأنه خطر عليك خاطر ، ومعنى ذلك أن عقلك الواعي قد تعب لأن طاقته محدودة في تحمل الجهود ، فانتابته سنة من الغفلة واتمزت هذه الغفلة جهة ما في نفسك تنبع منها هذه الخواطر .

بل إن النوم نتيجة لازمة لحالة التعب التي يصل إليها هذا العقل الواعي في نهاية اليوم ، وهو إذ يستسلم أثناء النوم إلى غفلته ، يخلو الجولتلك الجهة من نفسك التي تنبع منها أنهار الخواطر فيراها الرثم أحلاما .

تلك الجهة التي تنبع منها الخواطر في اليةظة والأحلام في النوم ، هي العقل الباطن ثانی عقلي الانسان .

ويؤدى إدراك هذه الحقائق إلى الاهتداء لفكرة ، هي ، أن النفس مجموعة طبقات بعضها أقدم من بعض ، وأن كلا من هذه الطبقات تثبت في النفس بنسبة رسوخها في القدم ، وأن العقل الواعي هو أول ما يتأثر بالتعب أو المخدرات أو الصدمات لأنه أحدث طبقات النفس ، فلا يستطيع السكران مثلا ولا يطبق أن يقرأ في كتاب علمي ، ولكنه يسوق إليك هينا خواطره ، فيحدثك حديثا مسهبا دون عناء ، ذلك لأن عقله الباطن الذي تنبع منه الخواطر - وهي مادة حديثة - لم يتأثر بالخمر ، لأنه أرسخ من العقل الواعي ، نظرا لأنه أقدم منه . وإذا توغل السكران في سكره فإنه يفقد العقل الباطن فلا يستطيع ولا يطبق أن يحدثك ، ولكنه يظل متفعا بفرائزه التي يشترك في حيازتها كل من الانسان والحيوان ، لأنها أرسخ من العقل الباطن نظرا لأنها أقدم منه في النفس فهي لا تتزعزع بالمسهولة التي يتزعزع بها العقل الباطن على شبابه ورسوخه . ولكن إذا أثقل السكران امتد العطل إلى طبقة الفرائز فتزعزع هي أيضا .

ومن مقارنة العقل الواعي بالعقل الباطن يتضح أن العقل الواعي يخالف في أساليبه أساليب العقل الباطن ، فإذا كنت مغيظا من شخص فاني في يقظتي أتدبر الموقف ، وأرد الظواهر إلى عالمها ، وقد اهتدي إلى اعوجاج ما في شخصيته ، فأحاول أن أصلح من هذا الاعوجاج باعتباره علة

اعتدائه على ، ورغبة منى في قطع سلسلة ضحايا هذا الاعوجاج الخ... ولكنى حين أستسلم للخواطر أراى وكأنى أضربه أو أسبه ، أو كأنى جالس وحولى أتباع وأشباع وهو أت في ذلته ومسكنة يلتمس عنوى وصفحى ، وحين أنام أحلم بأنى أضغ فى جيده حبلا من مسد وأعلقه فى شجرة ثم أجلده بالسياط حتى تفتح فى جسمه جروح دامية تصبغ وكأنها أفواه تعذلى ، أو أنى أجزه على وجهة ويعفر التراب جبينه وألقى به فى بئر فيها تين فظيح أو فيها أفعى لها خفيج رهيب ، أو أنى اقتله باسنانى ، وأمزق لحمه وأشلاءه .

ويدرك المتأمل أن أساليب العمل الواعى هى أساليب الثقافة الحديثة ، وهو لذلك سعى عقل الثقافة الحديثة ، وأن أساليب العقل الباطن هى أساليب الثقافة القديمة ثقافة الغرائز الغشيمة الخام ، غرائز الإنسان الفطرى الأول ، غير أن الخواطر تجرى أكثر تطفلا من الأحلام لأن العقل الواعى يمسها من قريب أو بعيد ، وأما فى حالة النوم فليس من شك أن الوعى ينعدم تماما ، وأن العقل الباطن يستعمل كل أساليب الثقافة القديمة فى التعبير عن محتوياته ولذلك فإنه سعى عقل الثقافة القديمة .

وهذا التدرج فى ظهور الثقافة القديمة من الوضوح والقوة فى الأحلام إلى التلطيف أو بعض التهذيب فى الخواطر إلى الزوال والاختفاء وقت إعمال العقل الواعى شير فكرة ، هى أن العقل الواعى ييمن على العقل الباطن ، فكيف تقوم العلاقة بين العتامين ؟

للاوصول الى سر هذه العلاقة نستعرض عمل كل منهما ونلاحظ أن العقل الباطن دائم العمل فى هذه اللحظة وأنت تقرأ هذا المقال وتتفهم عن وعى كلماته ومعانيه ، فان عقلك الباطن - دون أن تعى به - يعمل هو أيضا إذ أنه يحتفظ بتقريرات مفصلة عن كل ما تمارسه بعقلك الواعى ، وقد ذهب الدكتور يونج الى أن العقل الباطن يسجل أيضا مؤثرات يرجع عهدا إلى ما قبل انفصال الطفل عن أمه ، بل وعن أبيه ! ومعنى هذا أن كثيرا من عقائدنا وأفكارنا وتعبيراتنا وأفمالنا تتكون ، بادئ ذى بدء ، فى العقل الباطن ، وقد أكد التحليل النفسى النظرية القائلة إن المؤثرات على حياة الانسان وحيويته تتبع من أعماقه ، فأحيانا ترى أحد الأشخاص فتشعر نحوه ببغض أو خوف أو تفرز أو حب ، والغالب أن هذه العواطف والانفعالات ترجع الى أن شخصا ما يشبه قد سبب لنا فى صغرنا هذه الانفعالات فانطبعت صورته مقرونة بالانفعال فى العقل الباطن وحين مثل أمامنا الوجه المشابه للوجه المحفوظ فى سيرات العقل الباطن - نبع من الأعماق - بفضل التداى للشبه - هذا الانفعال المقترن بمثل هذه الصورة .

فلم تكن هذه الصورة قد محيت من العقل منها طال العهد عليها ، ومهما ظلت غائبة عنا ، ذلك لأننا مادما فى غير حاجة اليها نستطيع أن نتخلص منها ومما يقرن بها من عواطف وانفعالات ، وذلك لكى نستطيع أن نباشر عملنا العادى . وقد زودنا الله سبحانه وتعالى بقوة دس

هذه الصور في العقل الباطن غير أن نبي بها وهي تقوم بعملها في كبت الذكريات حيث نزال
مخبتة إلى حين طلبها . فنحن ننسى منظر قطار يدم شخصا ويقته ونكبت ما اقترن بهذا
المنظر التظيح من الانفعالات .

وقد يكون الكبت صالحا للحيوان كذلك مثل كبت الحيوانات المنساختة ، فالعومة تعوم
بزناقتها مادامت في المياه فاذا انسخت إلى ضفدع تنسى أنها كانت تعوم لكي تستطيع أن
تمشي وهي ضفدع على الأرض .

وهذا الكبت هو إحدى العلاقات بين العقليين .

وتظهر علاقة أخرى بينهما مما نلاحظه أيضا في استمرار العقل الباطن على العمل ، وفي
أنه لا ينك يدفع بمخترياته وهي الخواطر في اليقظة والأحلام في النوم :

ففي اليقظة عند ما أريد الانتباه إلى أمر ما أشعر أني أبذل مجهودا في تركيز انتباهي
لكي أبعاد عملي الواعي عن تيار الخواطر السائبة السارحة ، التي من طبيعتها أنها تكون سيالة ترد
تباعا وبغير عناء ، بل أنها تكون مصحوبة في جريانها بسرور ، وأما لإعمال العقل الواعي
فيلتزم استعمال جهد لتوجيه الانتباه ونحن نعي بحالة توجيه هذا الجهد في منع الخواطر
الخائمة من الدخول في مجال الواعي . وهذه العملية هي المظهر الثاني من مظاهر العلاقة بين
العقليين . وفيها تظهر هيمنة العقل الواعي على العقل الباطن .

وأما في أثناء النوم فتتوقف القوة الملحوظة - أي التي نعي بها - الخاصة بتوجيه
الانتباه ، كما تتوقف القوة غير الملحوظة التي لانعي بها الخاصة بالكبت . فلا يكون انتباه ،
ولا يكون كبت ، ويسمى نشاط العقل الباطن أثناء تعطل هاتين القوتين حاما . ومن ذلك
يتضح أن كل إنسان يحلم . وعندما يستيقظ تعود كل من القوتين سالفتي الذكر المعطلتين
إلى العمل فورا فيكبت كل الحلم أو بعضه ويتذكر الإنسان جزءا منه وينيب عنه جزء .

صلاح الدين الأيوبي

٢ - كانت لنا مطربة !

٢ - كيف نستمتع للغناء !

٣ - دلالة الذوق الفنى !

(١)

مات "سيد درويش" فترك مكانه خاليا ، مكان الفنان الماهم ، الذى يتلقى من الطبيعة وحيها فيصوغه أنفعا ، ومن النفس الإنسانية خطراتها فيصوغها ألحانا ، وخلف من بعده جماعة من "المجددين" ، قلده أولاً فى التلحين والأداء فكان بينهم وبينه ما يكون بين الأصيل والدخيل ، ثم بدا لهم أن يستقلوا بسرقة الألحان الأوربية ونظيرتها حتى تصبح رخوة مائعة تلي ما فى إحساسهم من رخاوة وميوعة . وراحوا يتمايعون ويتضاءون بالكلمات "الملتوتة" فى أنواعهم كناطق البله والمعتودين والمطعونين الذين لا يملكون إخراج النفس وتبيان الحروف .

وفى أثناء ذلك البلاء الذى أصاب الغناء كانت لنا مطربة كبيرة واحدة ، كنا نعتد بصوتها الرخيم القادر على إلقاء مختلف النغات وإبراز أشد المعانى . وكان النقص الوحيد فيها أنها لم تجد منذ ظهرت الى اليوم ذلك الملحن "الإنسان" الذى ينفع بهذا الصوت العريض العميق ، فيصوغ له من الألحان "الآدمية" . أىودى به وظيفته العظيمة فى هذه الحياة .

كانت ميزة هذه المطربة الكبيرة أن لها من حلاوة صوتها وقوته وعمقه ما يجعلها تستغنى عن وسائل الاجتذاب الخارجة على دائرة الفن ، كما تاجأ المطربات غيرها الى أنوتهن ، وأنوتهن وحدها يبرزنها فى الأنغام ليكن بها ما ينتقهن من الصوت وحسن الأداء .

ولكن يبدو أن القدر يريد أن يعرمتنا هذه المطربة الواحدة ، فقد أشرفت على المرحلة الحرجة فى حياة المرأة ، فراحت تعتمد الى ما كانت تجد نفسها فى غنية عنه من قبل ، وراحت تبرز الأثني فى نغاتها وتخفى المطربة ، ثم يتلبها الله بمؤامرين يصوغون لها أغاني ليس فى معانيها إلا إبراز معنى الأنوثة المكشوفة ، فتم الكارثة والعياذ بالله !

استمعت إلى الإذاعات الأخيرة للمطربة الكبيرة فأسفت وتألمت ، وقلبت كفى من الأسمى ... لقد كانت لنا مطربة يرجئها الله !

(٢)

وقبل أن ننفذ أيدينا من المطربين والمطربات ومن المؤلفين والملحنين ، يجب أن نعود باللائمة على الجمهور . فهذا الجمهور العجيب هو الذى يضج بالهتاف والتصفيق كلما تدغدغت أمامه مطربة ، أو تخطت أمامه مطرب . هذا الجمهور الذى يستمع للمطربات والمطربين بكل عضو فى جسده إلا أذنه ، وبكل حاسة إلا الحاسة الفنية ! هذا الجمهور الذى لا ذوق له ، والذى يصبح عند كل شطرة كالأوباش ، ولا يجد نسازا فى الجمع بين صوت التطريب الذى يسمعه وصوت الحيوان الهائج الذى يرد به عليه !

منذ زمن بعيد كرهت أن أذهب الى الصالات والمسارح لسباع الغناء ، لأننى لم أكن أستطيع أن أوفق فى أذنى وحسى بين هذه الطبقات المتنافرة من الأصوات على التوالي . ولم أكن أطيق منظر هؤلاء السكارى الذين لا يذهبون لستمعوا الا بعد أن يفقدوا كل مظاهر الوعي الإنسانى .

والآن أجاس فى بعض الأحيان وراء المذياع للاستماع ، وما استطعت أن أتخيل ضجيج المستمعين عند كل فقرة ، بل بين الفقرات كذلك ، إلا صراخ القطيع الهائج ، وثورة الحيوان المطعون !

أهؤلاء آدميون ؟

أنا لا أتهمكم ! فانا أشك من أعماق نفسى فى آدمية هؤلاء الذين لا يعرفون الطرب إلا هياجا وسعارا ، ولا يستمعون إلا وغرائهم السفلى التى تنفوز وتنتزى ؛ ولن يهيج هذه الهيجة عقب كل فقرة إلا الحيوان المكبوت المسعور الذى ينطلق من عقاله ، فيصبح ويتعبط ويصفق ، كما يصنع هؤلاء المستمعون !

ودليلى على ذلك أن هذا الهياج المسعور يبلغ أقصاه عند ما تتد عن المطربة أنه الأثنى وتوجهها ، أو تصدر عن المطرب دغدغة متميعة ؛ فهنا تنفجر تلك البهيمية المكبوتة التى أطلقتها السكر من عقالها وهاجتها هذه الأثام والتميعات .

(٣)

والعجيب أنك لا تكاد تستخلص من هذا الشعب كله واحدا فى الألف يفتن إلى هذه المعانى . وهذه كارثة . فدلالة الذوق الفنى على مدى الرقى الإنسانى دلالة لا تكذب . فهذا الرجل الذى يدعى لنفسه وتدعى له شهاداته الثقافة ثم يخط ذوقه الفنى إلى مثل هذا المستوى تستطيع أن تجزم وأنت مستريح أن دعواه ودعوى شهاداته كاذبة من الأساس .

وأنت تجد بين هذا القطيع المائج : المهندس والطبيب والمدرس وطالب الجامعة
وزوج التجارة و... .. وكل هذا محتمل ، لولا أنك تجد من بينهم أيضا بعض الأدباء
والشعراء والفنانين ... يا للكارثة ! إن الأدباء والشعراء والفنانين هم خلاصة الانسانية في كل
حين ، فكيف يتحدرون في مصر إلى هذا الحضيض ؟

إنني حين أنظر من هذه النافذة إلى الشعب المصري يدركني يأس عميق من مستقبل هذا
الشعب كله ، ولا يوصوص لي الرجاء إلا حين ألتقي بالأفراد القلائل المرتفعين عن هذه
الوعدة ، والذين المبح في إحساسهم وتقديرهم الفني شعاع الآدمية المضيء ! .

وسيعتمد أناس في قياس نهضة الشعب على إحصائية المتعلمين ، وعلى نمو الحركة
الصناعية ، وعلى عدد السيارات والتليفونات والرديوهات ... إلى آخر ما يتخذه الباحثون
الاجتماعيون من أنواع الإحصاء ليقبسوا بها حضارة شعب من الشعوب .

أما أنا فسأعتمد على مقياس واحد لا يخطئ هو الإحساس الفني في نفس هذا الشعب .
الإحساس بالغناء والموسيقى والتصوير والنحت والأدب وسواها . لن نخدعني العربة الفانحة
والكسوة الأنيقة والشهادة العلمية والخبرة العملية فطالما وجدت وراء هذه المظاهر جميعا حيوانا
في إحساسه التفسى ، أو عاميا في ذوقه الفني ، وتلك هي العلامة التي لا تخفى في جميع العصور .

والمصيبة أن هذا الذوق الدامي ليس قاصرا على الغناء ، بل يشمل جميع الفنون ، وإنك
لتجد في بعض الأحيان مخلوقات عجيبية من أولئك الذين تدعى لهم شهاداتهم العلمية أنهم
مثقفون ، ثم تستمع لآرائهم في الأدب أو الموسيقى أو الغناء فيخيل إليك أن هذه الملابس
التي يرتدونها ملابس تنكرية ، وأن في داخلها صلوكا من الصهاليك .

أنا لا أطرب من كل إنسان أن يكون أديبا أو شاعرا أو عارفا بأصول الموسيقى والغناء ،
ولكنني أطلب ذوقا فنيا يعتمد على حسن سليم ، فلن يكون إنسانا ذلك الذي يتفقد هذا القدر
من الإحساس الطبيعي الأصيل .

والواقع أن تربية الذوق الفني عندنا متروكة للإهمال ، لا يبنى لها أحد في البيت ولا
في المدرسة ولا في الأدب الذي يدرس بالمدارس ، وهو وحده مخزراته كفيلا لإفساد كل ذوق سليم .

رأيت في كتاب من كتب البلاغة المقررة في المدارس الثانوية البيت التالي :

والورد في شط الجليج كأنه رمد ألم بمقالة زرقاء !

فقلت في نفسي : معقول إذن أن يعجب المصريون بالمطربين والمطربات المصريين .
نقد تلقوا أصول الذوق الفني من الورد الذي يشبه الرمذ في العيون !

”س“

ولله في خلقه شؤون !

دراسات في حوالات :

بين ملائكة الرحمة . . .

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

... وكانت حملة الحضور على المرأة قد بانّت أشدها ، فذا يرميها بالتقص ، وذلك يدعوها شيطاناً ، وثالث يجهلها وزر كل تدور أخلاقى وغير أخلاقى ، ولم يكن فى مقدورى مع ما بذلت أن أوقف بدفاعى تيار تلك الجملة الجارفة حتى شاء الله أن يبعث بمن يقوى على وقفها دون نقاش أو جدال ، إذ طلعت على الحاضرين سيدة هى زوج مضيفنا . وسرعان ما سكتت الألسن ، وصمتت الأفواه ، وبان الخجل والحياء فى حركات الرجال ونظراتهم التى وزعت فى كل صوب وحذب ...

وابتدرت سيدة الدار الحفل بالتحية ، ثم أردفتها قائلة وهى تهز رأسها فى دهشة وأعجاب .
” أما كانت حفلة صحيح !! “ فانا أى حفلة ؟ قالت الحفلة التى كنت أحضرها الليلة .
فتساءل أحدنا : حفلة فى السينا ؟ قالت لا ، قال فى المسرح ؟ قالت لا . . . قال آخر لا بد أن تكون حفلة شاي قالت لا سيدى . فلنا فما تكون إذا هذه الحفلة ؟ فأجابت حفلة عشاء عدس فى بيت صديقتنا ليلي دوس لصالح جمعيتنا . . .

واسترعت إجابة صاحبتنا انتباهى ورأيتنى أنسلل بمقعدى نحوها أسأله فى فضول أى جمعية ياسيدتى هذه . قالت ” الجمعية النسائية لتحسين الصحة ... وإذ سألتها عن أغراضها قالت ” هذا أمر يجمل بمثلك أن يراه ويلمسه بنفسه . . . “

سيدات وكفى . . .

لعالم النفس ” الفرد أدلر “ آراء طريفة فى تحديد مراتب الخلق ، فهو يرى فى الانسان حيوانا إذا ما حصر جهوده فى ارضاء رغبات ذاته ، وإنسانا عاديا حينما يضيف الى ذلك عنايته ووضيحيته من أجل أسرته ، وإنسانا راقيا أو سيدا Gentleman إذا ما تجاوزت خدماته أفق ذاته وأسرته ، فشملت الآخرين من بنى جنسه ، ونحن قياسا على هذا نرى فى الجنس الآخر طائفتين ، نساء وسيدات . وصاحب هذا القلم لم يؤمن يوما بأن بمصر سيدات بالمعنى الذى يحدده ” أدلر “ حتى رأهن رأى العين يعملن مخلصات فى ميدان الخدمة العامة ، رأهن لارة لأولى فى جمعية مساعدة الضريرات التى قامت بجهود المربيات التفضليات ، وللثانية فى جمعية مبرة الأميرة فريال ، وقوامها لفيف من كرائم العقيلات مع بعض السادة من قادة حركة الإصلاح . وقد عرضنا لأمر هاتين الجمعاعتين فى مةالين سابقين واليوم نراهن فى تلك الدار التى نجلو

أمرها . وهكذا نشهد بفبطة وسرور مجال عمل سيداتنا يتسع يوماً بعد يوم وهو في آسائه يقوى أملنا في النهضة المنشودة ويشير الراغبين في الإصلاح بخير عزم .

ففي تلك الدار الصغيرة العتيقة "دار الجمعية النسائية لتحسين الصحة" التقينا بلقيف من هؤلاء المتطوعات اللواتي يستحقتن بمجدارة أن ندعوهن ملائكة رحمة ، يعملن جادات مخلصات في تدبير العيش لطائفة هي أحق الناس بالعناية - أسرآت مرضى السل من نساء وشيوخ وأطفال - يعين بهم وبعائلهم المريض ويتكفنان بكل ما يلزمهم حتى يتم شفاء رب الأمرة إذا قدر له الشفاء .

ثمانون قرشا ! !

"نعم ثمانون قرشا تتبرع بها بعض الفتيات الصغيرات تؤسس بها جمعية يبلغ رأس مالها اليوم ستة آلاف جنيه . . ." وابتسمت الأنسة ليلي أمينة صندوق الجماعة ابتسامة فيها معاني الفرح بالفوز والاعتباط بالنصر ، ثم بدأت تقص علينا من نبأ هذه الجماعة ما فيه أسوة وقدوة لمن أراد القيام بعمل إصلاحى . والأنسة ليلي هي كريمة سعادة توفيق دوس باشا ، وهي شابة من ذلك الطراز النادر الذى أصاب هدف السعادة إذ عرفها في إسعاد البنائين واستمرأ لذة الحياة في تيسير هذه الحياة للعوزين ، قالت الأنسة : " كان ذلك في عام ١٩٣٦ حين منى ولقيف من زميلاتي مجلس عرضنا فيه لما ينبغي أن نشغل أنفسنا به بعد أن آتمنا واستنا ، وقد أجمعنا الرأى على وجوب القيام بخدمة اجتماعية نسدد بأدائها بعض ما تدين به الفتاة المثقفة نحو بنى وطنها ، وقد عرضنا لمختلف الطبقات التى تستأهل الخدمة فلم نجد أحق من المرضى وأسرات المرضى . . وصحمت محدثتنا الفاضلة قليلا ثم عادت تقول : " وصادف في ذلك الوقت أن وقفنا من بعض الأطباء على ماتعانيه مستوصفات الأمراض الصدرية من متاعب بسبب تعذر علاج بعض مرضى السل من أرباب العائلات لا يضطرارهم مواصلة عملهم لإعالة أسراتهم وما في هذا من خطر على حياة المريض نفسه وعلى حياة ذويه بل وكل من يحتمك به لتعرضهم للمدى بهذا المرض الخطير ، لذلك وطدنا العزم على أن نبدأ عملنا برعاية أسرآت مرضى السل والعمل على تدبير العيش لهم مع بذل العناية بعلاج المريض وعزله حتى يتم علاجه . واسترسلت الأنسة ليلي في حديثها قائلة : " خرجنا من اجتماعنا الأول نبشر بفكرتنا ، التى لاقت قبولا وترحيبا من كل من صادفنا ولم نلث أن اجتذبتنا إلينا الكثيرات من الفضليات أمثال مسز كوى مديرة ملجأ أبناء السبيل بالهجوزة ، والسيدة أيضا حرم الدكتور عبد الحميد بك محمود التى ترأس جماعتنا اليوم وندين لها بأكثر ما بانتهاه من تقدم ونجاح . وتابعت الأنسة حديثها قائلة : " ولم يكدمضى على اجتماعنا الأول أسبوع واحد حتى كنا قد قسمنا أنفسنا للعمل فننا من اخصص يبحث حالات الأسرآت ، ومنا من انطلق الى بيوت ذوى اليسار يجمع منها

ما يستد حاجة المحتاجين وها أنت ترى حولى فريقتا ثالثا من المتطوعات يساعدنا بصنع الملابس لتزفج الجماعة بأمانها " وأشارت الى عدد من السيدات النفن حول مكتبها وهن منكببات على حياكة بعض الملابس الصوفية . قلت " ولكن ما يحدى هذا فى تدير مال الجمعية وواجبها كما نرى يحتاج الى مال وفير . . " قالت " إن موارد الجمعية تستق من ثلاثة أبواب : الأول تبرعات المحسنين سواء باعانتنا مباشرة أو بالمساهمة فى الحفلات التى نقيمها . وقد قمنا فى العام الماضى بعمل حفلات كبيرة شرفت بعضها حضرة صاحبة الجلالة الملكة وحضرات أصحاب السمو الأميرات ، كذلك تستعين الجماعة بما تدفعه عضواتها من اشترك . ورسم العضوية عندنا صغير فهو لا يتجاوز خمسة قروش فى الشهر . والمورد الثالث دو من إعانة الحكومة وقد منحنا معالى عبد الحميد عبد الحق بك فى العام الماضى مبلغ ألف وخمسة جنية من ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية لإعانة أسرات العمال المصابين بالسل . وإذ خشينا حين نوزع هذا المبلغ على هؤلاء أن ينفقوه ثم يعودوا بعد ضياعه الى ما كانوا عليه من ضيق عمدنا الى إيجاد صناعة لهم فنحن نشترى الأقمشة ونوزعها عليهم ليحكنها وتولى نحن بيعها للحلات الكبرى ونقيد الرشح للأسرات فى دفاتر توفير ونضيف اليه من مال الإعانة قدرا مائلا ومدت الآنسة لى يديا الى قنطر مكتبها ودفعت اليها بعدد من هذه الدفاتر قيدت فيها مبالغ كبيرة كلها ملك لسيدات من أسرات المرضى .

واذ عن لى أن أسألها عن أوجه نشاط الجماعة قالت " نحن نساعد بالمال والغذاء والكساء أسرات المصابين ونتعهد المريض بعد شفائه بالامانة ونوجد له العمل اذا كان عاطلا ونعد للناقهين مستعمرة فى ناحية البسائين بمصر القديمة وقد تسلنا الأرض وسنشرع فى البناء ، ونحن نعول أكثر من سبعين أسرة نفوى بعضها فى دار خاصة للجمعية ، وهنا استأذنت الآنسة الفاضلة للقيام بزيارة هذه الدار شاكرًا لها ما بذلت .

كيف يعملون :

تقدم جمعية تحسين الصحة الى أسرات مرضى السل مساعدات عديدة :

(الأولى) إسعافها بادئ ذى بدء بالغذاء والكساء ودفع أجرة السكن .

(الثانية) التوسط لإمدادها بمساعدة دائمة من إحدى وزارات الحكومة إذا انعدم فيها

القادرون على العمل .

(الثالثة) إيجاد عمل للمريض إذا شفى وللقادرين من أهله .

(الرابعة) إيواء المعرضين للإصابة بالمرض فى منزل خاص تتوافر فيه الشروط الصحية .

وهى تكلل أمر بحث حالات الأسرات الى إحدى عضوات الجمعية التى تتعرف أولا

الى الأسرة ثم توالى التردد عليها حتى تتمكن من إيجاد جو مشبع بالثقة والاطمئنان بينها وبينهم

فإذا وقفت على أحوالها أمكنها أن تشير بالدواء الذي تراه ونحن نذكر مثالا لحالة مما تعالج
الجماعة :

حولت إحدى عيادات الأمراض الصدرية المريض (س) لحاجته الى المساعدة
فاتضح بالبحث أن :

- ١ - المريض يبلغ من العمر ٤٥ سنة وتقبل حالته الصحية العلاج بالمصحة .
- ٢ - الزوجة عمرها ٣٨ سنة وهي سليمة .
- ٣ - ابن عمره ١٤ سنة سليم ويعمل برادا بأجر يومي قدره أربعة قروش .
- ٤ - ابن عمره ١٢ سنة ضعيف الجسم ولاعمل له .
- ٥ - ابن عمره عشر سنوات سليم ولاعمل له .
- ٦ - ابنتان في السادسة والرابعة من عمرهما .
- ٧ - والد عمره ثمانون سنة ووالدة في هذه السن أيضا .

وتأوى هذه الأسرة المكونة من تسعة أشخاص إلى حجرة إيجارها خمسة عشرة قرشا ،
وقد كان أول عمل للجمعية أن استأجرت مسكنا صحيا مكونا من غرفتين دفعت إيجاره وعزات
المريض في غرفة خاصة وأرشدت الأسرة الى وسائل منع العدوى ثم ألحقته بعد ذلك بالمصحة
وإتصلت برب عمل الغلام الأكبر فرفعت أجره الى ستة قروش وأوجدت للثاني عملا بأجر
قدره أربعة قروش وألحقت الأخير بعمل بغير أجر ثم منح أجرا قدره ثلاثة قروش ، وألحقت
الوالد المسن بوابا بأجر شهري قدره تسعون قرشا وهكذا كفلت لهذه الأسرة أسباب العيش حتى
شنى الأب فاشتغل خياطا في محل أسسته له الجمعية ، وتوالى الجمعية بواسطة إحدى عضواتها
التردد على الأسرة .

وقد اتسعت دائرة خدمات الجمعية اتساعا يامسه القارئ فيما هو مبين في الجدول التالي :

السنة	الاسرات التي ساعدتها الجمعية	عدد أفرادها	عدد من ألحق بعمل	عدد من أدخل الملجأ أو المدرسة	الذين عولجوا من أمراض غير السل
متوسط الخمس السنوات الماضية	٣٦	١٥٧	٣١	٣٨	١٧
سنة ١٩٤١-١٩٤٢	٩٥	٢٩٠	٨٥	١٠١	٧١

وقد بلغ عدد من ساعدتهم الجمعية حتى الآن مائة وإحدى عشرة أسرة تتألف من ثلاثمائة وثمان وأربعين نفسا أوجدت لأكثر من مائة منهم أعمالا وألحقت بالمدارس والملاجئ ما يقرب من مائة وستين .

وتقوم دار الجمعية لإيواء الأسرات في شارع محمد علي جوار جامع قيسون . قصدنا تلك الدار وشاهدنا كيف حيات الجمعية لهؤلاء البائسين حياة هادئة مطمئنة : هذه سيدة يحيط بها أطفالها وقد استقرت في حجرة صحية وضعت فيها متاعها . إنها تعيش في هذه الدار كما كانت تعيش في بيتها ، فهناك أثاث بسيط مرتب منسق وتلك صورة زوجها تزين بها صدر الحجرة . كان زوجها حاجبا في إحدى المحاكم وأصيب بالسل ثم قضى ولما كان المستخدمون الخارجون عن الهيئة بالحكومة لا يمنحون معاشا وإنما يكفون بصرف مكافأة صغيرة الى ذويهم فقد باتت هذه المسكينة لا تملك شيئا لولا أن قبض الله لما من هذه الجماعة من يؤويها ويتكفل بعيشها وعيش أولادها . وهناك في تلك الدار ترى عشرات من أمثال هذه السيدة وكاهن يعلمان أعمالا رابحة تعود عليهن بالكسب الوفير فقد أعدت لهن الجمعية ما كينات للخطاطة يمكن بها الأنواب ويتقاضين عن عملهن أجرا . وتعنى الجمعية بتغذية وكساء نزلاء الدار وتعد لهم كل أسباب الراحة ، فهناك مذياع وفصل للتدريس للصغار ، ولم حرية الخروج ، لزيارة ذويهم ويمودهم طبيب خاص للتحقق من سلامتهم وهكذا عمرت الجمعية بحسن صنيعها بيوتا كان مقضيا عليها بالحراب وأمنت الحياة لأسرات باتت بعد حرمانها عائلا مهددة بالتشرد والضياع .

عند رئيسة الجماعة :

قصدت بصحبة الأنسة ليلي دوس دار السيدة إيفا بالزمالك فلاقنا أكرم اقاء ومضت تحدثنا بتلك الروح المستبشرة المطمئنة التي قل أن تراها في غير الانجيزيات قالت :

لقد هالني عند قدومي إلى مصر ما شهدته فيها من ضعف العناية بالحالة الاجتماعية وما لمست في أهلها من افتقار إلى الإصلاح . وكم كان يؤلمني أن أرى وجوه القوم شاحبة وهم في ذلك الوادي الزاهر النضير ، وأن ألمس آثار سوء التغذية في أبدانهم وهم أصحاب ذلك النهر الذي يتفنى العالم بخصب ضفافه ووفرة مائه ، وصمتت السيدة الفاضلة قليلا ثم عادت تقول : كنت أصر بالأحياء الوطنية وأشاهد ما يحيق بالقوم من بؤس وشقاء حتى إذا عدت إلى هذا الحى الملىء بالكرامات والتقصير تساءلت في عجب : كيف يهمل هؤلاء الأثرياء شؤون مواطنيهم ، ولم لا يشغل كل قادر نفسه بإصلاح ما يقرى عليه من شؤون بلده إن لم يكن بماله فيجهده ، أو برأيه . ظلمت على هذه الحال من التأثر والتألم حتى أتاحت لي تلك الجلاسة أمامنا (وأشارت إلى الأنسة ليلي) فرصة القيام بخدمة وإن كنت أرادا صغيرة إلا أنها تخفف بعض التخفيف مسئوليتي أمام خميري عن أداء شيء للبلد الذي يؤوينا والشعب الذي تعيش بين ظهرانيه .

وإذ سألت السيدة الفاضلة عما شأحت من أسباب العناية بمرضى السل وأسراهم في الخارج قالت : لمرضى السل في بريطانيا وفي غيرها من بلاد العالم المتحدين مصحات عديدة ومصر رغم أنها ضربت في هذا الداء برقم قياسي بسبب سوء التغذية وفساد التهوئة في أماكن العمل وفي مساكن العمال والفلاحين ، هذا إلى عدم مراعاة تطبيق قوانين الصحة في أكثر الأعمال ، أقول إنها رغم هذا لا تملك غير مصحتين اثنتين : واحدة بجلوان والثانية بالعباسية وهما لا تقسمان لعشر معشار المرضى . على أننا لا نحتاج في مصر إلى مصحات كثيرة لو أننا راعينا ما يفعله الغربيون في بلادهم ، ففي بعض البلاد تقوم الحكومة سنويا بإجراء كشف إجباري على جميع الأهالي وتعزل المصابين منهم بأمراض معدية ومنهم مرضى السل في معازل خاصة (Isolation Camps) وتتولى علاجهم بالمصحات فإذا بلغ المريض ور النقاهة أرسل إلى مستعمرة خاصة . وفي بريطانيا مستعمرات عديدة أهمها مستعمرة (Papeurth) وتمتد بعض البلاد كالسويد وألمانيا حدائق خاصة للسلوانين ، وتابعت السيدة حديثها قائلة : على أن أهم ما ينقصنا هنا في مصر هو المعزل والمستعمرة ولهذين تعمل الجمعية التي أشرف برياستها ، فقد تسلمنا أرض المستعمرة التي سنعدها للعمل قريبا ، وفي نيتنا إقامة المعازل بمجرد توفر المال في أيدينا وإني لأسألك أن تذكروني اليسار من أهل البلد بمعاونة جماعتنا للنهوض بهذا العمل ، فليس أخطر على الصحة من ترك مرضى السل يختلطون بالأصحاء في كل مكان . وإنما جميعا معرضون للإصابة ما دام هؤلاء المرضى طليقين بمخاطبتنا في المقاهي ودور اللهو وفي الترام وفي السيارات العامة بل يشتركون في إعداد الطعام الذي نأكله من خبز وإدام وحلوى وفاكهة .

وأدارت السيدة الفاضلة رأسها وإلى صورة معلقة في الحائط لشاب مريض بالسل وبجواره طبيبه وقد كتب تحتها عبارة "حكم الموت : The sentence of death" قائلة إن لهذه الصورة أثرا كبيرا في توجيهي إلى خدمة هؤلاء البائسين ، وعادت الرئيسة العاملة تتابع حديثها عما يجري في بلدها الأصلي من عناية بالمرضى قائلة "إن النهوض بالمشروعات الاجتماعية لا يمكن أن يقوم على أكتاف الحكومة وحدها ، ففي بريطانيا يتحمل صاحب العمل ثلثي قيمة التأمين الصحي لخدمته وتعد الشركات الصناعية مستشفيات ومصحات لعمالها وتقوم الجمعيات الخيرية بخدمة المرضى والعناية بهم ، وهي ترسل من لديها زائرة صحية تعمل على الأم في العناية بالتصغار إذا كانت الأم هي المصابة" واختتمت السيدة أيضا حديثها قائلة إن جهود جمعيتنا لازالت ضئيلة الأثرون نحن في حاجة إلى المال وإلى المتطوعات المتخصصات وبقدر وفرة هذين تكون النتيجة التي نحصل عليها في تحقيق آمالنا المشوذة .

أهمية دور المرأة في ميدان الخدمة الاجتماعية :

يقول الشاعر الفيلسوف "رابندراناث تاغور" في كتابه "البيت والدنيا" إن لكل من الرجل والمرأة محيطا خاصا ، فمحيط الرجل يمتد في معنى السعة ومحيط المرأة في معنى العمق

ومكان المرأة الأول في البيت وما يتصل به ، بينما مجال نشاط الرجل في الكون الذي خلق له ... “ هذا ما يراه الفلاسوف الهندي وتلك هي الناحية المعيبة في روحنا الشرقية ، وقد نسي هؤلاء الراغبون في تقييد المرأة في حلقة البيت أن من النساء من خدعن بجهودهن المجتمع خدمات تقصر دونها هم الرجال ، فهذه مسز بيتشر ستو الامريكية قامت بأعظم عمل اجتماعي في التاريخ وهو إعداد الرأي العام لتحرير العبيد فقد كان كتابها ” كوخ العم توم “ الملهم لأبراهام لنكولن للقيام بحربه ضد الجنوبيين المقاومين لحركة التحرير ، وهي لم تهب قلمها وجنائها لخدمة تلك القضية فحسب بل وهبت تلك الحرب ابنها الكابتن فردريك ، وها هو سفرها للجليل يترجم إلى ثلاث وعشرين لغة وقسمتها الخالدة تمثل في المسارح وعلى الشاشة البيضاء من يوم إخراجها حتى الساعة ، وهناك أيضا مدام كوري مكتشفة الراديوم وابتها جوليا التي فازت بوكالة وزارة البحث العلمي في فرنسا عام ١٩٣٦ كما فازت بجائزة نوبل . وهناك اويزدي كوفيل صاحبة فكرة إنشاء محاكم الأحداث وهي الآن في الثانية والثمانين وتفتخر باللقب الذي أضفاه عليها مواطنوها ” كاعظم شجادة “ وهناك دوروثي كانفيلد صاحبة مشروع إيواء أيتام الحرب ، ومسز هيجمسون التي صرت ببلادنا منذ سنوات حيث أوجدت فرنا لجمعية الخاصة بحماية النساء والأطفال ، والدكتورة منتسوي صاحبة الطريقة المعروفة في التربية الحديثة ، وهناك غير هؤلاء وهؤلاء كثيرات . وفي تاريخنا العربي المجيد كما في تاريخ الشرق أسماء لا نرانا بحاجة إلى ترديدها ، أسماء لا حصر لها لسيدات فضليات بزبن الرجال في ميادين الفكر والأدب والاجتماع . ونحن حين ندعو مواطناتنا أن يسعين إلى ميدان الخدمة الاجتماعية إنما ندعوهم إلى عمل هن خير من ينهضن به ، فالمرأة أصاح من الرجل للقيام بالعمل الاجتماعي فهي أقدر منه على ترويجه والدعوة له ، والتأثير بجمع المال الذي هو عصب العمل وقوامه ، وهي أكثر أمانة وأميل إلى الاقتصاد في نفقات المشروعات ، وهي كذلك أحسن قلبا وأرق شعورا وهي آمن من يدخل البيوت ويطمأن إليه في بحث دخائل الأسرات . وفي بلادنا اليوم جماعات ناشئة تعمل في ميدان الخدمة الاجتماعية كجماعة ” مبرة محمد علي “ ومبرة الأميرة فريال بمصر الجديدة وجماعة مساعدة الضعفات ومساعدة الأطفال والأمهات والجمعية النسائية لتحسين الصحة وكلها مفتخرات إلى جهود سيداتنا الرحيمات .

يابنات مصر من سيدات وفتيات :

ان الواجب يدعوكن أن تخرجن إلى ميدان الخدمة الاجتماعية ، لقد رأيتن الأجنبيةات يهين جهودهن وأموالهن لخدمة بلدنا المفتقر إلى الإصلاح ، فلا تكونن أقل غيرة على مواطنينكم منهن . واعلمن أن السعادة الحقة هي في إسعاد البائسين ولذة العيش في تيسير هذا العيش للعوزين فهيا هيا إلى ميدان الخدمة يارسل الخير وياملانكة الرحمة

محمد عبد الكريم

الهجرة

من جنوب الدلتا إلى شمالها

للامتاذ عبريان سعد

من البلاد ما يزيد سكانه على ما تدر من رزق ، فلا يكون أمام أهلها إلا أحد سبيلين :

إما الرضى بالفقر والراحة ، وإما الضرب فى الأرض حتى يستقروا فى مكان كثير الرزق قليل السكان . وهذا هو الهجرة .

والهجرة إما الى مكان داخل المملكة وإما الى مكان خارجها ، فإن كان فى المملكة متسع من الأرباء ينتقل إليه أهل الأماكن المزدهمة فليس ثمة ما يدعو أهل البلاد الى هجرها الى مملكة أخرى . وان ضاقت كل الأرباء بأهلها وكانت فى الشعب روح الشجاعة وحب المجازفة وعدم الرضا بالفقر والراحة هاجروا الى أصقاع نائية ؛ والأرض كلها أرض الله .

وقد هاجر الانجليز الى الجزائر النائية ، كلما اكتشفت جزيرة نزع اليها منهم خلق أثروا ثراء عريضا فكان منهم أهل استراليا ونوزيلندا وأمريكا الشمالية . وهاجر من أوروبا خلق كثير نزلوا بأمريكا الجنوبية وجزر كثيرة من جزر الهند الغربية والشرقية ، أصابوا من الثراء فى أوطانهم الجديدة ما أصاب الانجليز .

وهاجر من سوريا ولبنان كثيرون يبلغون الآن مئات الألوف فى كل ناحية من نواحي العالم الذى يجد فيه المهاجر فرصا للعيش وفرصا للثراء .

ونحن الآن فى مصر نواجه مشكلة ازدياد السكان وازدحام بعض المديرىات ازدهاما جعل الفقر ينتشر ، ولقد أصلحت الحكومة أراضى فى شمال الدلتا وكان يجب أن يخفف إصلاحها ازدهام المديرىات الأخرى ولكن ذلك لم يحصل .

لماذا ؟ لأن الأرض المستصلحة يشتريها رجال المال فيستثمرونها برجال معبودين ينقلونهم اليها كلما دعت ضرورة العمل ثم يعيدونهم الى بلادهم التى جلبوهم منها .

فإصلاح الأرض فى شمال الدلتا ، مهما تقدم وعظمت نتائجه سوف لا يكون له أثر فى حل مشكلة زيادة السكان ما دام الحال على ما هو عليه الآن .

ومن العبث أن نطالب فلاحى المنوفية والقليوبية وجنوب الشرقية والدقهلية والغربية وهى أشد مناطق التطرزحاما ، من العبث أن نطالبهم بالهجرة ، فلن يهاجروا لمجرد النصيحة أو الطلب رغم علمهم بأن الهجرة هى دواء فقرهم ، لأن الهجرة تحتاج الى مال والى ماشية

والى بيوت تبني فى المهاجر ، وفلاحو تلك المناطق المزدحمة لا مال لهم ولا ماشية ولم تبني لهم مساكن بأوون اليها ولم تعرض عليهم أرض يملكونها ويسادون ثمنها الاسمى من جزء من غلتها لا يعجزهم ان يدفعوه .

ولكى ندرک مدى تقصيرنا فى تشجيع الهجرة وترغيب الناس فيها يجب أن نعلم ماذا تصنع المهاجر للمهاجرين . وعندى طرف من حديثها .

فى سنة ١٩٢٨ كان لى صديق يدرس الهندسة البحرية فى انجلترا وأتمها ، ووضع على ظهر سفينة تجارية مساعدا للمهندسيها تمهيدا لمنحه الدبلوم . ومدة تربيته هذه سنتان .

رحلت به السفينة تجوب بحار العالم ، فزارت كل موانئه تقريبا . وكان من البلاد التى قضت فيها السفينة أياما كثيرة نيوزيلانده .

عاد صاحبي ولقيته ، فحدثني عن رحلته ، وحدثني عن اقامته فى نيوزيلانده ، وحدثني عن أهلها الذين ربطته بهم صداقة ، وحدثني عن الحياة هناك . فسألته عن الهجرة ، أهى مباحة ؟ وما مدى المساعدة التى يلناها المهاجر ، قال إن هناك تقانات شبه حكومية تعطى المهاجر أرضا وآلات للتعبيد والزرع والحراث ، ويعطونه بذورا ويتركونه عامين أحيانا ونجسة أعوام أحيانا لا يحصلون منه ثمن شىء مما أعطوه حتى اذا استقر ودرت الأرض ، بدأ فى سدادما أعطى .

ولقد رغبت فى الهجرة مع أنى كنت موظفا براتب يفرى أى شاب فى التمسك به ، وأرسلت طلبا لإدارة الهجرة فى لندن بقاءنى رد رقيق ومعه استمارات الهجرة . ولم يحل دون هجرتى إلا شرط لم استوفه ولا سبيل إلى التغلب عليه ، ذلك هو سابق اشتغالى بالسياسة والحكم على بسببها وهم لا يقبلون مهاجرا من هذا الطراز .

لو أننا أردنا تعمير أراضى شمال الدلتا واستغلالها كما أرادت حكومة نيوزيلانده تعمير أراضبها ، لوجب علينا أن نسير سيرتها ونحذو حذوها . فاذا عمرت تلك الأراضى انحلت مشكلة السكان الزائدين فى المديرىات المزدحمة ، لأن هؤلاء السكان هم الذين سيترحون لتعمير تلك الأراضى فنصيب طائرين بحجر واحد .

والفرصة الآن سانحة كأحسن ما تكون الفرص السانحة ، فإن فى مصر من أهل نيوزيلانده عدد ضخم ، منهم من غير شك كثيرون ممن يشتغلون بالزراعة ولم اتصال وثيق بالمقابات التى تمد الناس بالمساعدة .

ونستطيع بالاتصال هؤلاء الناس ، أن نكوّن فكرة صحيحة عما يتبع هناك ، وأن نقتبس من نظمهم ما يتفق مع حالتنا الاقتصادية والاجتماعية . وإننا لنعلم علم اليقين أن مدى المساعدة هنا سيكون أقل بكثير من مداها هناك ، لاختلاف مستوى المعيشة فى مصر ونيوزيلانده فالرجل هناك يحتاج للضرورى أو لعيش الكفاف أضعاف ما يحتاج اليه الفلاح المصرى الذى يضرب الرقم القياسى فى العالم فى قامة ما يكفيه من المال ليعيش .

لو أن آلاف الأفدنة بل مئات آلافها التي شقت في فلبها المصارف بدل أن تباع بأثمان خيالية للشركات وزعت على الأسر التي تشتغل بالزراعة في المديرية المزدهمة ووزعت على تلك الأمر مساعدات مالية وعينات من البذور والسماد والماشية ، ولو أن قرى بنيت في تلك المساحات الواسعة لأصبح شمال الدلتا ببارى جنوبها عمراناً وثرورة ولأصبح فيه لسكان المديرية المزدهمة متنفس . ولكن كل ما نظره ، وصف للزحام وطلب لحل مشكلته ووصف للفقر ومطالبة مقاومته .

إذا كانت الأرض تجرد في نيوزيلاندا مهاجرين من مختلف الممالك لزراعتها وتعمير بورها نازحين إليها من كل فج عميق ، أفلا تجرد أرض شمال الدلتا في سكان جنوب الدلتا من يعمرها والمسافة بينهما لا تتجاوز بضع ساعات بالسيارة أو القطار .

مستحيل أن يكون الفلاح المصري من الانحلال بحيث يأتي أن يهاجر من قرية لقرية أخرى إن ضمن أرضاً ومساعدة وإن علم بأن الأرض سيستغلها لنفسه ، وأنها ستكون ملكاً له . والدليل على ذلك هجرة أهل القرى المزدهمة من وقت لآخر إلى مزارع الشمال كلما احتاجت مزارع الشمال إلى عمال للزرع أو للحصاد . ولو أن أولئك العمال وجدوا سيلاً إلى الاستقرار هناك بزوجاتهم وأولادهم لاستقروا .

سيعترض أصحاب المزارع في الشمال بأنهم بنوا بيوتاً للعمال ولكن العمال يابون الهجرة وسكنى تلك البيوت . وردى على ذلك أن الهجرة إن لم يكن الدافع لها مطعماً فلا يمكن أن يقبلها إنسان ، وأي الناس يعمل بالأجر في قريته التي ولد ونشأ بها ثم يهاجر ليحصل بالأجر نفسه في قرية نائية يكون فيها غريباً ، والغربة نوع من الذل .

ولكن لو أن ذلك العامل علم أنه سيصبح صاحب ملك وأنه سوف يجد مساعدة تيسر له الزرع والحصاد ، إذن لراينا سيلاً جارفاً من العمال الأشداء يحول فيافي شمال الدلتا التي تزرع نصف زراعة إلى أرض عامرة منتجة .

لتجرب إنشاء قرية ولتقطع زمامها قطعاً صغيرة كل منها ثلاثة أفدنة مثلاً ، ولتجعل لكل راغب في قطعة منها بقرة ، ولتقدم له السماد والبذور على أن يدفع مال الأرض مضاعفاً لمدة خمسين سنة ، فإن نجحت القرية وعمرت بالمهاجرين أنشأنا قرية أخرى وهكذا .

لقد أنفقت الحكومة ١٦٠ ألف جنيه إنصافاً للوظفين المنسيين ، ولها الشكر من غير شك ، ولكن الفلاحين المنسيين وأرض شمال الدلتا التي تنتظر سواعدهم وجلدهم وخبرتهم في حاجة إلى مثل هذا المبلغ يتفق كل عام ، فتندل مشاكل متعددة لا مشكلة واحدة ، ويكون ذلك بدء عهد ينظر فيه الفلاحون للحكومة نظراً للجيش للقائد لا نظراً للطير للعائد كما قال الزعيم الخالد سعد يوم ولي الحكومة . لأن الفلاحين تعودوا حتى اليوم أن يدفعوا للحكومة لا أن يتقاضوا منها . فإذا جاء اليوم الذي يقبض الفلاح فيه من يد الحكومة مالا أو يسلم ماشية أو أرضاً ، شعر الفلاحون جميعاً أن الحكومة منهم في مكان القائد لا الصائد

عريان سعد

اثر الفرد في الحياة الاجتماعية

للأستاذ إبراهيم القطريفي

استعرضنا تطور الحياة الاجتماعية وأصل الظواهر البارزة فيها وأتينا على المفارقات الشاسعة بين طبقات الشعب وما يتعرض له الأغلبية الساحقة من السكان ودم جمهور الزراع والمشتغلون بالصناعة والتجارة المتعلمون منهم أو العمال سواء من الناحية المادية أو من الناحية العلمية وسواء إذا ما زاووا أعمالهم أو إذا ما اضطرتهم ظروف الحياة إلى البطالة .

وقد خلص لنا أن هناك وسائل كثيرة تتعدد بتعدد نواحي الحياة الاجتماعية تساعد على تحسينها ورفع شأنها .

وفي مقدمة هذه الوسائل ما تبذله الحكومة سواء بالعمل على استحداث نظم جديدة أو وضع تشريعات اجتماعية .

ولكن هناك وسائل فمالة أبعد أثرا وأهم نفعاً وهي المحاولات التي يقوم بها أفراد الشعب في سبيل الإصلاح الاجتماعي ، لأن الحياة الاجتماعية للأمة هي في تدرجها إلى الحياة الفردية للفرد ثم الحياة العائلية للأسرة ثم الحياة الطائفية لأي جماعة من الجماعات أو هيئة من الهيئات وأخيراً تتألف من كل هذا الحياة الاجتماعية العامة لجميع أفراد الشعب .

فاذا جاز لنا أن نصور جهود الدولة وجهود الأفراد إزاء الحياة الاجتماعية فلتتصور أن مجموع هذه الجهود يكون شكلاً هرمياً مثلث الأضلاع فاعده الأعمال التي يقوم بها الأفراد ويتقدم بها المواطنون جميعاً وفي نهاية الأعمال التي تؤديها الدولة إذ أنها تتوج سائر الجهود .

ولا نغني في هذا المقام ما يبذله الأفراد وينظرون وراء ذلك إلى منفعة ذاتية خاصة ويكفيهم إرضاء أنفسهم وإشباع رغباتهم ولا يمحفون بأثر جهودهم على غيرهم أو بحكم مواطنيتهم عليها ، فأمثال هذه الجهود ذات الطابع الأناني لا يمكن بحال أن تؤدي إلى حياة اجتماعية صالحة وطبعاً يتطلب هذا أن يتأثر في نفوس الأفراد اعتقاد جازم بأن لكل منهم أثراً بالغاً في حياة الجماعة وأن ما يقوم به من الأعمال يعود على نفسه أولاً ولكن يعود على غيره أخيراً وأنها هي المقياس الحقيقي له بين مواطنيه .

ويستوى في هذا الأغنياء والفقراء والعمال وأصحاب الأعمال والمزارعون وأصحاب الأملاك على اختلاف فقط في القدر الذي يستطيع كل منهم بذله تبجاً لقدرته واستعداده وظروفه وسيترتب على هذا الإدراك ألا نجد بين الجماعة هؤلاء الأفراد المتواكبن الذين يستهينون بأنفسهم ويشعرون بضآلة شأنهم فيعيشون في هذه الحياة الدنيا ويبارحونها وكأنهم لم يروها كذلك سيتوارى فريق من الأفراد يحورله ثراؤه أو جاهه أنه في عزلة من مواطنيه ، همه من حياته مطامع يطمع إليها وما رب يحصل عليها . تتطلب الحياة الاجتماعية إذن أن يشعر كل فرد بأن عايب للمجتمع ديناً يجب أن يؤديه وحسباً يجب أن يقدمه .

فقد حبي الله عباده بنعم متعددة وخص بعضهم بالمال وبعضهم بالعلم وبعضهم بالجاه وأثر بعضهم على بعض لهذه الهبات ؛ فما على كل ذى نعمة الا أن يركب عنها ويتزل عن جزء منها اذ أن للمال زكاة وللجاه زكاة .

لقد استتبع تطور الحياة الاجتماعية وجود طوائف من الناس قسمت عليهم ظروف الحياة وتركهم بين طفل مشرد أو عاجز عن العمل أو مريض لا يعرف طريقه الى العلاج . ولقد قامت الحكومة وقادة الرأي بأعداد النظم والمنشآت التي تكفل إيواء المشردين وإعانة العاجزين وعلاج المرضى فأستت الجمعيات الخيرية والملاجئ والمستوصفات وصناديق الإعانة ومكاتب المساعدات ، ولكن ما الذى يضمن لهذه المنشآت الازدهار والانتشار وما الذى يساعدها على أن تؤدي مهمتها على أعم وجهه وأنفعه .

لا شك أن المال هو الدعامة لكل ما تقدم ولا سيما وقد أصبحت أعمال البر ضرورة اجتماعية يتعدى أثرها الى سائر أفراد المجتمع اذ أنه قد اتقضى العهد الذى كان يقصد فيه بالإحسان المباشرة والمفاخرة ؛ وهذه لا تكفى أن يفيديها أريحية فردية عارضة أو نفحة من جواد لا يعود اليها مرة أخرى إذ أن الجهات المنظمة من أعمال البر الاجتماعى لا تقوم إلا على إحسان منظم يشترك فيه أكثر عدد ممكن من الأفراد كل على قدر طاقته يساهمون فى المؤسسات المتعددة ويتعاونون فى تغذية صناديق الإعانة ومكاتب المساعدات الاجتماعية ويتسابقون الى الأسواق والمحافل الخيرية فيصبح حب الخير عادة متأصلة فى نفوسهم وابتداء المعروف والإحسان عملا يقومون به لوجه الله ولصالح المجتمع .

هذا أثر الفرد على المجتمع اذا كان لديه فضلة من المال، أما أثره على الحياة الاجتماعية اذا كان على شيء من العلم فلا يقل شأننا عن أثره السابق وأن للعلم زكاة كزكاة المال تماما اذ أن من واجب المتعلم أن يكون نافعا بعلمه وأن يرد بعضه الى البيئة التي نشأ فيها .

وتجب زكاة العلم على المتعلمين جميعا سواء فى ذلك العامل المتعلم أو طالب المعاهد الدينية أو طالب المعاهد العليا أو حملة الشهادات المدرسية على اختلاف درجاتها وأنواعها كل هؤلاء عليهم أن يشعروا أن للمجتمع حقا فيما يعلمون وأنه ينتظر منهم أن يؤدوا اليه هذا الحق على أى صورة من الصور التي يستلزمها النشاط الاجتماعى ومن حدى الحظ أن الوسائل التي تساعد على تحسين الحياة الاجتماعية وتحتاج الى جهود الأفراد المتعلمين لا تقع تحت حصر فقد يكون من الممكن أن تحصر الحكومة جهودها التي تراوحتها لتحسين الحياة الاجتماعية لأن هذه الجهود محدودة بميزانية معينة و بعدد معين من موظفى الدولة، أما نواحي النشاط الاجتماعى العامة فلا تحد إذ أنها تسع للأفراد جميعا مادامت بين جوارحهم نفوس تشعر بالواجب عليها نحو المجتمع، من الميسور أن توضع نظم وأن تسن قوانين لإنشاء النقابات بين العمال أو لإيجاد نظام التعاون أو لتشجيع افتتاح معاهد لمحو الأمية أو للدراسات الاجتماعية ولكن ليس من الميسور أن تتنازل هذه النظم فى نفوس الشعب وأن تقرب مبادئها الى عقائد أفراده

إلا إذا وطن المتعلمون من الأفراد أنفسهم على الاستفادة من هذه الجهود الرسمية والتوسع في استخدامها والقيام عليها بل واستحداث أكثر منها، على أن يقوم كل فرد بما يتيسر له في هذا الواجب القومي حسبة لوجه الله ولوجه الوطن شأنه في ذلك شأن المدين الذي قام بوفاء دين عليه لدائنيه فلا يرجو من هذا الوفاء جزاء ولا شكورا إذا أن الخدمات الاجتماعية بطبيعتها وبالقياس إلى ما حدث في الدول التي انتشرت فيها لا تنهض إلا على أكتاف جنود مجهولين يؤثرون العمل الصامت ولا يتطالبون من وراء جهودهم الإنجاح رسالتهم، لذلك فقد أطلق عليهم جيش الخلاص لأنهم يعمرون على تخليص مواطنيهم من البؤس إلى السعادة ومن الجهل إلى العلم ومن التفكك والانحلال إلى الهدى .

ولا يتطلب هذا الجيش إلا سلاحا واحدا هو الإيمان الصادق بخدمة المجتمع والتعاون في الوصول إلى هذا الغرض . فلو اتخذ المتعلمون في عصر هذا السلاح على اختلاف طبقاتهم وأنواعهم عمالا وطلبة وحائزين على مؤهلات دينية أو مدنية ، وهم لا يتلون عن مليوني فرد، وجرّدوا أنفسهم لمحاربة الأمية ومحاربة البدع والعادات السيئة وللدعاية للتعاون والجمعيات التعاونية النافذة وللشروعات الصالحة واتخذوا من متدياتهم نكبات يعدون فيها عدتهم ومن محافلهم ومهرجاناتهم مواقع حاسمة يقضون فيها على ما في هذا المجتمع من شرور وآفام لثالت الحياة الاجتماعية على سواعدهم في سنوات ما لم تنله على هذا السير الوئيد البطيء في أجيال .

أما صاحب الجاه من الأفراد فزكاته أن يسبح شيئا من جاهه العريض على نواحي النشاط الاجتماعي الذي يهيئه استعداده أو هوايته لها وألا يقعد به جاهه عن الدخول في يادين الخدمة الاجتماعية العامة وألا يكون حسبه من جاهه ما يستمتع به في عمله الرسمي أو ما يشعر به في المحافل والجمعيات من الصدارة والتكريم . وما أحوج المؤسسات الاجتماعية والمشروعات القومية إلى مكانة ذوى الجاه حتى يكسبها ثقة تحمل الناس على الاقبال عليها وعلى الأخذ بها .

بذلك يصون ذوو الجاه جاههم فكا يضاعف الله للمتصدقين أموالهم فيرد إليهم الحسنة عشرة أمثالها كذلك ذوو الجاه إذا ما منحوا شيئا من جاههم للخدمة الاجتماعية العامة يمكن الله لذكراهم وأبقى اسمهم وجعل خير أمتهم على أيديهم .

وللفرد صاحب الجاه أثر آخر على الحياة الاجتماعية بجانب الأثر الذي يحدثه من مساهمته في النشاط الاجتماعي وذلك إذا ما كان يتخذ من نفسه مثلا صالحا لمواطنيه ينأى بنفسه عن مواطن الزلل ويقربها إلى مواطن الكمال يطابق بين أقواله وأفعاله ولا يقوم بدعوة خيرة إلا ويكون هو البادئ بها فيصبح له أجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

تلك هي آثار الفرد في الحياة الاجتماعية إذا ساهم فيها بماله أو بعهده أو بجاهه قد أجهلناها وربما عدنا إلى تفصيل ما أجهلناه

مكتب البحوث الفنية ببيروكسل

للأستاذ رشاد محمد محبوب

تعانى مجتمعاتنا الحديثة ضعف تقدم العلوم الاجتماعية ؛ وقلة نضوج المشتغلين بالعلوم الاقتصادية والسياسية ، أولئك الذين يدعون قيادة الرأي العام . وصار اليوم من واجب التعليم العالى أن يعمل على إظهار العلوم الاجتماعية ، وتكوين جماعة من الفنين يتسابقون مع متطلبات الحياة العامة .

ولقد شعرت كليات الآداب والفلسفة في كل البلاد بالحاجة إلى إدخال منهج من المحاضرات يرمى إلى إيجاد تلك الطائفة من العلماء ، ويمحوى هذا المنهج معارف ثلاثا :
(أولا) المعارف الوصفية للأحداث الاجتماعية ، وهذه تضم بين دفتها التاريخ العام والجغرافيا البشرية ، وعلم الأجناس البشرية .

(ثانيا) المعارف التطيلية التى تنتجها العلوم الاجتماعية الخاصة مثل العلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية والدينية وعلم الإحصاء وعلم اللغة .

(ثالثا) العلوم التركيبية التى تبين الاتصال بين الأحداث الاجتماعية وأقسامها العدة واتصال الأحداث الاقتصادية بالسياسية والفقهية والأدبية ، واتصال القانونية بالسياسية والأدبية . ومن تلك المعارف نخرج بفكرة جامعة كاملة عن الأفراد والروابط الاجتماعية بعضها بعضا .

والمعارف الثلاث التى أسلفنا ذكرها تجد متمماتها في المحاضرات العلمية والفلسفية والنفسانية وعلوم الإحصاء وطرائق البحث .

ولا تكفى العلوم الاجتماعية التى تلقى بكليات الحقوق لتكوين فنيين ، وبناء عليه فقد أنشئت مدارس للعلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية مستقلة عن كليات الحقوق ، ويطلق عليها في جنيف : " كلية العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية " .

ولا يقتصر سبيل البحث لإعداد هؤلاء العلماء على المنهج الخاص ، بل وعلى منهج عام لكل من العلماء الاجتماعيين - والتمثيين - ولكل من هذين دروس خاصة تتفق مع حاجاته الخاصة . فالعلماء الاجتماعيون مثلا يهتمهم معرفة الكثير من الفلسفة ، وعلم النفس ، والتاريخ والطرائق العلمية . وطائفة الفنين - سواء كانوا اجتماعيين أو شرعيين أو اقتصاديين - فهؤلاء مطالبون بدرس المسائل القانونية والسياسية والإدارية ومسائل أخرى دراسة وافية .

ولقد أنشأت جامعة بروكسل ببلجيكا سنة ١٨٩٩ مدرسة للعلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويرجع الفضل لوجود تلك المدرسة وعلو شأنها الى الميوس أرنست سولفي ويقترن اسم هذا الرجل بأربعة أمور : فقد أوجد مستخرجات كيميائية هامة من بينها كربونات الصودا وقد نظم صناعة عالمية نافعة ، ودور رجل كريم محب للغير - وقد قام بأعمال في الاجتماعيات لمن هم تحت إشرافه ، ويعتبر الرجل كحام للأدب والفن في المجتمع العلمي ببروكسل على الخصوص .

وقد رأى بناقب فكره فضل العلوم الاجتماعية ، وكان من أول المؤمنين بما أتى من خدمات ، وتجلب من منافع . ولقد أهاب سولفي بالجامعة أن تنشئ المدارس وتسهل طرائق البحث الاجتماعية وإدخال الإصلاحات السياسية والاقتصادية .

ولا يخفى أن مجالات العلوم الاجتماعية رحبية الجوانب ، واسعة النطاق ، وعلى الذين يريدون كشف ما فيها ، وإثارة باحثها أن ينفردوا بناحية من نواحيها ، ويخصصوا يبحث من أبحاثها .

والمعروف أن قضايا العالم تتطلب النظر من عدة نواح ، فالمسائل المالية ومساائل العملة مثلا ليست مسائل اقتصادية بحتة ، وعليه فالمسائل الاجتماعية يلزم لبحثها الرجوع إلى ما يتصل بها من مسائل كالمسائل الاقتصادية والسياسية وغيرها ، هذه المسائل لكي تبحث بحثا ضافيا تحتاج إلى عدد وافر من الأفراد يتجاذبون النظر ويتبادلون البحث .

فن الضروري إذن توثيق ما بين تلك العلوم وتسهيل العمل المشترك والتضامن في الدرس والبحث ، وتنفيذا لهذا الغرض النبيل أسس سولفي سنة ١٩٠١ مكتبا للبحوث الفنية ببروكسل سمي مكتب "سولفي الاجتماعي" ببروكسل .

وله غرضان : أولهما ، إعداد المعدات اللازمة للبحث الوافي ، وثانيهما تشييط التعاون المتين الدائم بين العلماء والفنيين لتحصيل الشؤون التي تهتم الصالح العام تمجيدا دقيقا . ونرى من المفيد إلقاء نظرة على نظام ومجهورات مكتب البحوث الفنية ببروكسل الذي أحرز شهرة عالمية فائقة .

فالمكتب عبارة عن مجمع علمي شائق للعلوم الاجتماعية ، وهذا المجمع منذ نشأته يفتح صدره للباحثين والمشتغلين بالمسائل الاجتماعية ، والذين يحتاجون لأمر من الأمور ، فهو يقدم لهم المعلومات التي تخص هؤلاء بسرعة وسهولة .

ولهذا الغرض أنشأ المكتب "معهدا إعداديا" يقوم كمكتب دولي لائتلاف المعلومات الخاصة بالأمور الاجتماعية . وهذا المكتب يقدم للمجمع الوثائق الوافية التي يجمعها والحلول

التي أيدتها العلماء والمهاهد العلمية الأخرى والتجارب التي أصابها العلماء في ضروب البحث المتباينة .

وهذالك قائمة بأسماء المشتغلين ببحث " الاجتماعيات " و بأسماء المعاهد والجمعيات العلمية والمكتب السالف الذكر يبعث بأسئلة بعض العلماء إلى البعض ، ويمد أسماء التصانيف اللازمة للسائلين ويرسل بأسماء العلماء لهم ويعمل على تنوية الأواصر العلمية بين هؤلاء وهؤلاء ، وبهذا يحقق فكرة " التعاون الفكرى " .

أضف إلى ما تقدم أن الباحث يجد في مجلة المكتب صفحات علمية ثمينة ووثائق عامة وإشادة بالكتب والرسائل والمقالات التي تهتم الباحثين في العلوم الاجتماعية .

ومن ذلك يرى أن نظام المكتب يسمح بمعالجة المسائل الاجتماعية بتمعق ووفرة . ويلاحظ أن هناك مساعدين يعدون السجلات اللازمة ويجرون الأبحاث التي لا يسمح الوقت للعلماء ببحثها . ويلاحظ أيضا أن المساعدين الدائمين والمؤقتين للمكتب المختصين بالعلوم الاجتماعية . والمعتادين على البحث المشترك يجتهدون أن يعاونوا الباحثين الآخرين بتجاريتهم ومعارفهم .

وكثيرا ما لجأ علماء اخصائيون إلى أنظمة العمل في ذلك المكتب وإلى مساعدة زملائهم فيه ، لكن الأشخاص غير الاخصائين كالكتاب وموظفى الادارات الكبرى . ورجال الصناعة والمال والسياسة هم الذين يلجأون أكثر من غيرهم إلى وسائل البحث في المكتب .

وزيادة على ما ذكر فقد ألفت جماعات لتمحيص المسائل النظرية والعملية التي تعرض في كل اليوم وهى مؤلفة تاليفا يبشر بالبحث المشترك والمعلومات الوفرة والنقل الصحيح .

وفي حالة ما إذا طرحت على بساط البحث إصلاحات اجتماعية ، لم يقتصر المكتب في نظرها على العلماء والفنيين ، بل إنه يدعو إلى جانبهم الساسة الذين يمثلون آراء عدة والموظفين العموميين المشتغلين بالبحث .

وكانت طرائق البحث في الاجتماعيات قبل الحرب الماضية سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ ترمى إلى المسائل المادية والسياسية والاقتصادية وتشريع العبال والصحة الاجتماعية وتعديلات القانون الجنائى والتشريع للجماعات التجارية والاستعمارية . وقرب نهاية الحرب الماضية في غيبة الحكومة والبرلمان والإدارة وبعد الهدنة ، قام المكتب يبحث المسائل الاجتماعية حسب الدستور الوطنى الجديد ، فالبحت في المسائل المالية أدى إلى تعديل الضرائب ،

والبحث في المسائل القانونية أدى إلى بث المساواة التي محاما الاحتلال الألماني ، وإلى قانون الإيجارات ، والبحث في مسائل الطرق الحديدية أدى الى وحدتها ، والبحث في المسائل الصناعية أدى إلى إصلاح النظام الجمركي ، والبحث في النظام النيابي أدى إلى البحث في إصلاح مجلس الشيوخ .

ولقد استشير المكتب إبان الهدنة في المسائل العالمية الكبرى التي أنارتها الأزمات الاقتصادية والمالية ولما أنشئت لجنة التعويضات سنة ١٩٢٠ في باريس طلبت إلى المكتب أن يشرفها برأيه عن قوة ألمانيا في الدفع وغير ذلك من الأمور .

وقد اشترك المكتب أيضا في التأهب لعقد مؤتمر جنيف ، ومنذ سنة ١٩٢٣ والمكتب في صلة وثيقة بالادارة الدولية للعمل .

وأخيرا فقد قام المكتب بقرار فياض عن رجوع بلجيكا إلى حالتها الأولى — سياسية واقتصادية وقانونية وإدارية — وهذا القرار ظهر في سنة ١٩٢٦

ويسعى مؤسس المكتب إلى تقديم العلماء والفنيين والاجتماعيين وانتشار روح المسالمة بين الطبقات والشعوب ، وقيام التعاون على قاعدة الوساطة واحترام الاتفاقات .

ولا يقوتنا أن نسجل هنا تلك المبادرة التي بدرت من العلماء والفنيين في معالجة المسائل أثناء الحرب الماضية وهي تأثر ضمايرهم في الشهوات العامة والانفعالات الشعبية .

ولكن إذا أغضبتنا عن هذا نلاحظ أن القاءين بالمكتب قد تألفت جماعتهم في جو وثام بين الطبقات والأمم .

وفضلا عن أنهم مختصون في الاقتصاديات والعلوم السياسية والقانونية والاحصاء وفي علم الخلق البشرية Ethnologie فإنهم كذلك يرومون إيجاد ثقافة اجتماعية عامة تمكنهم من فهم الاجتماعيات وفروعها حق الفهم دون تجاهل ناحية من نواحي البحث أو عامل من عوامله . ومما لا ريب فيه أن نفوذهم القوي المتين مما يجعل أبحاثهم تقابل روح الطمأنينة والأمل ما

رشاد محمد محبوب

الزوجة الصالحة

للاستاذ عيسى متولى

عائنا في السنوات الأخيرة أزمة الزواج على إثر إحصاء كثير من الشبان عن طرق أبوابه ، وكانت حجة الشبان في هذا الإحصاء قيام بعض العقبات في طريقهم ، كالتغالي في المهور ، وإرهاق طالب الزواج بما لا طاقة له به ، وإذا سألت أحد هؤلاء الشبان عن سر إحصاءه ، أجابك بأنه لم يجد من بين الفتيات الفتاة الصالحة التي يحلم بها ، ويرسمها في خياله .

وليس من العدالة أن ننكر وجود الفتاة الصالحة للزواج في بيئتنا ، فهي موجودة ، ولكنهم ضلوا الطريق ، فلم يستطيعوا الوصول إليها ، إذ أخطأوا فهم الكثير من الحقائق ، وسلكوا سبلا كثيرة لم تنه بهم إلى الهدف المقصود ، فنفرت بهم السبل ، وذهبت جهودهم أدراج الرياح .

حسب بعضهم أن صلاحية الفتاة تتوقف على مدى ما نالته من علم ، وأصابته من ثقافة ، وليست الثقافة وحدها بالشرط الأساسي لصلاحية الزوجة ، لأن الرجل لا يقترن بالمرأة ليتلمذ على يديها ، ولتشرح له أصول العلوم ومختلف النظريات .

وحسب بعضهم أن صلاحية الفتاة تتوقف على مدى ما تمتلكه من ثروة أو عتار ، وليست الثروة وحدها بالشرط الأساسي لصلاحية الزوجة ، بل قد تكون الثروة في بعض الأحيان عاملا من عوامل الإفساد لا الإصلاح .

وحسب بعضهم أن صلاحية الفتاة تتوقف على مدى ما حببها به الطبيعة من جمال ، وليس الجمال وحده بالشرط الأساسي لصلاحية الزوجة ، فقد يكون الجمال أحيانا تقمة على المرأة .

راح كل منهم يبحث عن الزوجة الصالحة في الناحية التي يعتقد أنه سينظر بها منها ، فإذا به لا يظفر بشيء ، لأن اعتقاده قام على أساس خاطئ .

إن الزوجة الصالحة هي التي تجمع من المزايا والحاصل ما يؤهلها للاضطلاع بأعباء البيت ومسئوليته . هي التي تقدر الزوجية تقديرا صحيحا ، وتقدس حقوق الزوج ، وتعمل على إيساعده ، وتسهر على راحته . هي التي توقف جهودها للبيت ، فتجعل منه جنة ينعم أهلها بكل ما يتمنونه من سعادة ، ورفاهية ، ولهاء . هي الزوجة الوفية ، والشريكة الأمانة المطيبة ، التي تقيم دعائم حياتها الزوجية على أسس قوية مكيئة .

هذه هي الزوجة الصالحة ، التي عنانها النبي صلوات الله عليه وسلامه حين قال : "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة" .

ومن النظريات التي لا يعوزها برهان أن صلاحية الزوجة تتوقف الى حد كبير على صلاحية الزوج ، فالرجال بما تخوله لهم القوانين الطبيعية والشرعية قوامون على النساء ، يوجهونهن وجهة الخير بالرفق إن أجدى ، وبالعرف إن لم يجد الرفق ، فالزوج الحازم الذي يعرف كيف يقبض على زمام بيته ويدير دفته بحكمة وتبصر يستطيع أن يمهّد لزوجته وأبنائه طريق الخير والصلاح ، أما إذا انصرف الرجل عن بيته وأهمل شأنه ، فلا لوم نسوقه الى المرأة اذا دفعها ذلك الى الإهمال :

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

فلا تلموا المرأة اذا لمستم فيها ناحية من نواحي النقص أو الإهمال ، ولوموا الرجل فهو المسئول الأول عن توجيهها .

وخليق بنا ونحن بصدد الحديث عن الزوجة الصالحة أن نبين أثر هذه الزوجة في حياة زوجها ، فهذه المرأة التي تهز المهديين والعالم يسراها تؤثر تأثيرا كبيرا في حياة زوجها ، ولنا في سير الأبطال والقادة خير دليل على صحة ذلك ، ففي حياة كل بطل من هؤلاء الأبطال الذين برزت أسمائهم في سجل التاريخ ، وأولئك القادة الذين ملكوا زمام الأمم والشعوب ناحية هيات لهم بلوغ هذه المراكز التي بلغوها ، هي ناحية " المرأة " .

فالمرأة الصالحة تمدّ شريكها بروح قوى يمهّد أمامه كل صعب ، وتعينه على تذليل ما يعترضه من عقبات ، وتشجعه ، وتؤازره ، ولورجعنا إلى التاريخ لمسنا أثر الزوجة في حياة الزعماء والقادة ، وأدركنا مبلغ ما يدين به هؤلاء العظماء لزوجاتهم .

أعد سئل المسترنيشيل تشمبرلين مرة : إذا لم تكن الأقدار قد اختارتك لتكون رئيسا للوزارة البريطانية ، فإذا كنت تودّ أن تكون ؟ فأجاب على الفور : كنت أتمنى أن أكون هذا الرجل الذي نتاح له فرصة الاقتران بمسز تشمبرلين .

وطالما شاد العظماء في مناسبات كثيرة بما تركته زوجاتهم من أثر في حياتهم .

كما أن الأم الصالحة تغرس في أبنائها بذور الفضيلة بما توجهه اليهم من معاني الخير فتخرج للوطن شبايا مزودا بقوة الخلق ، وهي خير سلاح يشق به طريقه نحو غايات الجيد والكمال .

والأم الصالحة قدوة طيبة لبناتها ، ترعاهن وتقيم حولهن سياجا من الحصانة يحمين ويصون عفتن .

وهكذا لا يقتصر أثر الزوجة الصالحة على ناحية واحدة ، بل تشمل جميع النواحي المحيطة بها .

وأحب أن أشير هنا الى ضرورة تعديل برامج تعليم الفتاة تمديداً يكفل تنقيتها ثقافة
بيئية تؤهلها لحياة البيت ، فغنون التدبير المنزلي والطهي و إعداد المائدة الأزم للفتاة من دروس
الجغرافيا والطبيعة والجيولوجيا .

إننا لا ننكر حق الفتاة في التعليم ، وإنما ندعو الى حرمانها منه ، إنما نطالب بأن تكون
العناية بتعليمها التعليم البيئي أوفر من العناية بتعليمها سائر العلوم والمعارف ، لنعد لاستقبال
فتيات صالحات تدرين على شؤون المنزل ، وتربية الطفل ، حتى إذا ما هيأتهن الأيام لإدارة
مملكة البيت ، أدبر رسالتن على وجهها الأكل .

لقد رأينا من بين فتياتنا المتعلقات فريقتا وأصل درسه وتحصيله حتى بلغ النهاية أوقارها ،
فحصلن على دبلومات عالية ، وضربن بسهم وافر في النبوغ ، فرأينا من يذهن المحامية الفذة ،
والطبيبة البارة ، ورج كل ذلك لم تستطع الفتاة أن تتحدى طبيعتها أو تخرج على أنوثتها ،
وتفر من أداء الرسالة التي خلقت لها . . . فاذا بها تخلع " روب الحمامة " وترتدى بدله
" مربية المطبخ " .

فما هي الحكمة إذن من مواصلة الفتاة للدرس والتحصيل إذا كان مصيرها البيت .
أوليس الأصح لها أن نعدّها للبيت إعداداً صالحاً ، ييسر عليها مهمتها ، ويهيئها
على أداء رسالتها ؟

أعود بعد ذلك فأقول للشبان المحججين عن الزواج إن الزوجة الصالحة موجودة في بيتنا
إلا أنها كالدرة الغالية ، تأتي إلا أن تبقى متسانة في خدرها حتى يسعى إليها طالبها ، لا أن
تسعى حي اليه .

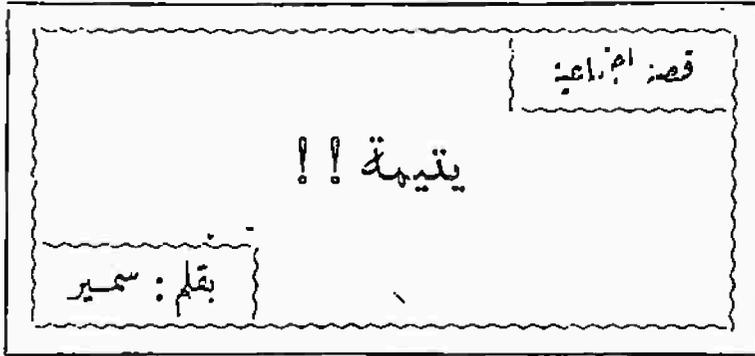
هناك قانون اقتصادي يقول إن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من التداول ، ونستطيع
أن نطبق هذه النظرية الاقتصادية على حياتنا الاجتماعية ، وما نلاحظه من اختفاء النوع الجيد .
فأقول في صراحة إن بعض الفتيات عندنا يسعين الى الزواج قبل أن يسعى اليهن طلبو الزواج .
وتلك هي العملة الرديئة التي تؤثر تأثيراً سيئاً على العملة الجيدة التي تؤثر أن تبقى متسانة
في خدرها ، معززة الجانب ، موفورة الكرامة ، حتى يسعى إليها طالبها .

أيها الشبان المحججون عن الزواج لا هجمة لكم فيما تلمسونه من أعذار حين تعزون
سبب أحجامكم الى افتقار المجتمع الى الفتاة الصالحة . . فني وسممك الاهتداء اليها ، إذا
أحستم البحث عنها ، وسلكتم اليها السبيل التويم .

لا تنظروا الى الزواج بهذا المنظار الأسود الذي يشوه لكم الحقائق ، ويصورها لكم
تصويراً خاطئاً ، وينقث في نفوسكم اليأس والفتور !

وفقمكم الله الى ما فيه خيركم وإسعادكم ، وخير المجتمع وإسعاده ، ودياً لكم من أمركم رشداً .

عيسى متولى



- نعيمة

- نعم يا بابا

- هاتي الكرايج

ومن أقصى غرفة السطح برزت من بين أنثائها الرث القليل فتاة هزيلة صفراء اللون أسرعت بها قسوة الأيام فتقلتها على جناح البؤس والألم إلى سن الكهول وإن كانت في الواقع لم تتعد العشرين . قامت الفتاة استجابة لرغبة أبيها الذي أنف أن يطلأ بقدمه أرض الغرفة ، فوقف في مدخلها والغضب يشره ويطويه ، ووجهه المكتنز السمين يحمر وينعقد فيه الدم ، ومن ورائه وقفت زوجته التركية الفارعة التي تحوى في قبيح وجهها الدميم معشار ما تكنه من سوء أخلاقها وسواد نفسها .

وقفت من ورائه تنظر إلى الفتاة المسكينة متشفية مثلذذة بمنظرها الأليم ، وقد أخذت الفتاة تنفض وأوصلها من الرعب ترتعد .

ارتفع الكرايج في الهواء ليستقر بشدة وعنف وغيثظ على الجسد الواهن الضعيف ، فيحيط به كالشعبان ، وينال بالاماته اخمراء القانية من جسد الفتاة الضامر المنهوك ، فيتوهج لجمها ، وإن شئت التدقيق فقل جلدها ، كما يتوهج اللحم على السفود فوق النار .

كان وجه الفتاة شديد الامتقاع كوجوه الموتى ، والعرق يلتمع على وجهها الأخضر المضميم وشفاتها مطبقتان ببؤس وألم بينما أبوها يستأنف عمله . وما زال السوط يرتفع ويفرقع في الهواء ، ويببط على الجسد الآدمي الحى فيمزقه ، حتى لم تعد الفتاة تحس بالألم ، ثم طوح

بالسوط جانبيا وركل فتاته وكلة قوية ، بينما تقدمت منه زوجته التي هدا قلبها واستراح ، تسرى عنه ما بذله من جهاد في توقيع الجزاء ، ثم صحبته إلى الدور الأسفل حيث مسكنها الساعم الفخم الوثير .

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي زار السوط فيها جسدة الفتاة زيارته الدامية ، لا ولم تكن الثانية ولا العاشرة ، فكثيرا ما نال السوط من جسدها الداخل بمجرد أية شكوى تصبها زوجة أبيها في أذن زوجها بطريقة الشيطانية التي تجعل اللين في ظاهرها ، وتخفى في باطنها السم الزعاف ، وكأنما الرجل كان يجد في شكوى زوجته فرصة للانتقام من ابنته اليتيمة ، فسرعان ما يهرع إلى حجرتها في سطح المنزل ، وهناك تتكرر المأساة .

ومضى الليل إلا أقله ، والفتاة غارقة في إغمائها ، إلى أن لفحت برودة الجوا المتدافعة من النوافذ العارية جسدها النحيل ، فارتجفت مرات ، ثم استفاقت لتجد نفسها في الظلام الدامس كإعتاد لا أم تواسيها وتخنو عليها ، ولا جليس يخفف من آلامها وتعاسها ، وأخيرا لا قبس من النور يبديد وحشتها في غرفتها العارية كقبر هجره الموتى .

نظرت حولها في خوف وألم وقد زادت ظلمة المكان رهبة وحمرة ، ثم تحاملت على نفسها فقامت تتحسس الجدران بيديها كي تصل إلى المصباح الصغير ذو الفتيلة الخالية .

ولكن سرعان ما انطفأ في نفسها الأمل العارض عندما تبينت أن المصباح فارغ قد نصب منه البترول ، وإذن فقد قضى عليها أن تظل ليلتها في الظلام حيث إنها لا تستطيع أن تنزل إلى المطبخ في هذا الوقت المتأخر من الليل لاستحضار بعض البترول خيفة أن تستيقظ زوجة أبيها الطاغية التي حرمتها من وصول التيار الكهربائي إلى غرفتها العارية نكاية فيها وتحقيرا لها .

وقفت المسكينة تنهد في حرقة تفتت القلوب ، واقتربت من النافذة ، في خطوات منهثرة ، ثم ألقت بنظرها على صفحة السماء فوجدتها حالكة السواد تماما كقلب زوجة أبيها وكأنما اتفقت مع القدر العايب على اصطناع هذه الظلمة الفاتلة خصيصا للفتاة العسة .

فقدت الفتاة آخر قوة لها في المقاومة ، فألقت بجسدها على المقعد الوحيد بالحجرة ، واستندت برقبها على حافة النافذة ، ثم أخذت تتمايل في الفضاء الحالك ، فعادت بها الذكري إلى أيام الطفولة ، وأخذت قصة حياتها تترى وترسم أمامها في الأفق المظلم صورا متتابعة كشرط سينمي لدرامة هائلة مرهوعة .

رأت كيف قضت طفولتها في رغد مع أمها المحبوبة ، وكيف كانت الأم الراحلة ترعاها وتحنو عليها وتحيطها بكل أنواع العرف والأبهة ، وكيف كانت أمها تجلس على أريكتها الطويلة فتجلسها على ركبتيها وقد زينت ابتسامتها وجهها الجميل وأخذت تصغي إليها بأذن مناهضة وتعلق على كلامها بصوت كله حنو وعطف وحب ، والفتاة تقول لها :

— أماه ضعي ذراعيك حولي ، ورأسي على صدرك ، كم أنت رحيمة يا أماه .

ورأت كيف تبدلت بعد ذلك الأحوال ، وزأر الدهر وكشر عن نابه ليثب على فريسته كي يلهبها . ففى يوم حزين انفطر قلب الفتاة المسكينة عندما ولت أمها بعد مرضها الطويل ، وكانت حتى اللحظة الأخيرة ، تنظر إليها في حسرة وألم ثم ختمت حياتها بالدعاء لابنتها كي يحفظها الله من قسوة الأيام بعد أن أخذت من زوجها الراكع بجوارها عهداً بأن يرعى ابنتهما ويجعلها أمانة في عقه إلى يوم يتقابلان .

ورأت كيف أن الأب لم يحترم العهد أكثر من شهور معدودة تبدلت بعدها الأحوال عند مجيء الزوجة الجديدة العيوب ، إذ بدأ الحنو والعطف يتبدلان بسعير من جهنم وأتون من الجحيم ، فلا عين تراها ، ولا كلمة رقيقة تنفس عنها ، ولا ذراع يلتف حولها أو صدر يستند إليه رأسها . حياتها تمضى في خطوات متناقلة في بطن صير ، فلا موت يخلصها من ظلم الأيام ولا قبس من الأمل يضيء لها فرسخاً من الزمان ويزنج عن نفسها سجون الذل والحرمان .

استنجدت بالدموع ، ولكن الدموع قاسية ، لا تطاوع غير أصحاب المسموم الهينة ، وهذه الفتاة همومها من النوع القاسى ، فلم لا تكون هى أيضاً قاسية ؟ أجل لقد قست وأقسمت أن تظل مكانها عاصية ، نأى أن تنزل من مكانها لتفوج كرتبها ...

استنجدت بالنوم ، وهل خاق النوم لعينين مثل عينيها ؟ كلا ... وهل طاوعها بسمولة من قبل حتى يطاوعها الليلة ؟ ... كلا . لقد أبى النوم كذلك أن يزور أجفانها المسهدة . وكأنما عينيها لا تريدان أن تبعدا عنها عن التطع إلى صحائف حياتها وهى تتابع ملاحظة متدافعة ...

وعند ما أوشكت تباشير الفجر أن تنبج ، وانطلقت الطيور من تحت أجنحة أمهاتها الدافئة تبحث عن رزقها فى الأرض ، تذكرت الفتاة واجبها الذى يحتم عليها الاستيقاظ فى الفجر كل يوم لمسح أرضية المنزل جميعها قبل أن تسينظ المهام زوجة أبيها لتناول الإفطار وتجوود بما يتبقى منه على الفتاة المنكوبة كي تدبغ به .

اهتز مكانها عند ما تحيلت قدميها النجيبين وهما تفوصان في الماء القذر كل يوم ، وكيف أن برودة الماء تفعل في هاتين القدمين ما يجعلهما تكاد ان تتجمدان ، وكيف أنها أصيبت برومازم مزمن أصابها من سنوات ولا من أحد يحاول أن يعطف عليها بدواء يعينها على الشفاء . طبعاً لا أحد ، فمن ذا الذي يهمله أن تشفى ، ولماذا تشفى ؟ فلتعتم ، ترح وتسترح . ولكن الموت عزيز ، له أساوبه ، وله طرقه في الاختيار .

وعادت بها الذكرى إلى أمها العطوف وكيف كانت تلبسها أجمل الثياب وأجود الأحذية وأنفخها ، وكيف كانت تعنى بقدميها دائماً فتدقهما في جوارب صوفية غالية ، وكيف أن مربيتها العجوز كانت تقول لأمتها ذات يوم :

— بلاش ياهائم الشرايات الصوف دى بعدين الهائم الصغيرة تاخذ عليها لما تكبر .

فتبسم الأم في جمال ملائكي وتجيها :

— الطفلة ضعيفة يا أم مجد ولازم نعتى برجليها . هو أنا عندى كام بنت غيرها ؟

وقارت بينها اليوم وبين أيام مضت عند ما كانت لا تسنيقظ إلا على قبلة من فم أمها الطهور ، وقد ملأت شمس الصباح الذهبية جوانب غرفتها الأنيقة .

وتدافت الذكريات وتراحت في رأسها الصغير ، فنارت على تلك الحياة الوضيعة التي قضت فيها خمس عشرة سنة تسير على وتيرة واحدة لا تتغير ولا تبدل ، ونارت على حجرتها الحقيمة التي يذكرها كل ما فيها بالأمها وحياتها البعسة ، وشعرت أن الحجر قد امتلأت دخاناً ضاقت نفسها عن احتاله ونفرها من البقاء فيها .

وسرعان ما أرتسمت فكرة الفرار في مخيلتها ، وسرعان أيضاً ما استسلم لها القلب الباكي الحزين ، فلم تجد إلا تنفيذها وسيلة تنقذها من نكبتها ، فلدت يدها تبحث عن الخذاء البالي تلبسه على عجل ، ثم تبحث عن قطعة ممزقة من ثوب قديم سترت به ظهرها المغطى بثوب خلق رث . . . وخرجت دون أن تودع غرفتها التي شهدت آلامها ووعت أحزانها ، وقد تسرب إليها بصيص ضئيل من النور الخارجي .

وما هي إلا لحظات حتى حجبت ممرات الطريق المتشعبة طيفاً ناحلاً يجرى ويتلفت .

وصرت الأيام وتبعها السنون ، والقدر يتصرف بضحكته كما يشاء يوجهها كما يحلوه
مسجلا خطواتها المتعثرة في أحوال التعاسة في سجله الأزلى الخالد .

وفي نهاية العام الماضي انتهت آخر صحيفة من صحائف السجل الخاص بقصتنا هذه بعد أن
ظلت نحس سنوات تتوق الى تعرف نهايتها .

وكان ذلك في إحدى بلدان الوجه البحري بضيفة وجيه من كبار الوجهاء كان قد أقام
الزيينات والأعلام في طول البلدة وعرضها اختفالا بعودة ابنه الوحيد من أوربا بعد انتهاء
مدة التعليم ، فكان السائري نساء الضيفة ورجالها قد قاموا على بكرة أبيهم كل مسرع
إلى قضاء بعض الأعمال الخاصة بالاحتفال وكان هذا اليوم هو يوم الجمع فساهم كل منهم
فيه بنصيب وافر ، وليس فيهم من لم يظهر البشر والابتهاج على وجهه الفطري البرئ
في غدواته وروحاته وكانهم جميعا قلب واحد لإنسان واحد .

كان هذا الاستعداد يجري على قدم وساق من ثلاثة أيام مضت إلى أن أشرقت
شمس اليوم الرابع على البلدة وهي تبدو كالعروس في ليلة الزفاف ، ومع ذلك فقد مر هذا
اليوم أيضا في حركة دائبة ونشاط متوثب ، وزينت المحطة بأجمل الزينات ، ولبست حلة زاهية
من مختلف الورد والرياحين والثريات الملونة الجميلة .

وما أن أوشكت الساعة على الرابعة حتى كان القوم جميعا وقوا في فناء المحطة منتظرين
قدوم القطار بشوق وطغفة ؛ إذ أن في إحدى درجاته فتاهم المحبوب مع والده العظيم وخاص
أصدقائه الذين ذهبوا معه لانتظار وصول البانحة والعودة بالبك الصغير إلى أرض آبائه
وأجداده .

ومرت الدقائق في ببطء كعادتها في أوقات الانتظار إلى أن هل أخيرا القطار من البعد
يتبختر من هواء بمن يحمل ويمير في خطوات متكبرة رزينة ... وقلوب القوم تخفق مع خطواته
وتزايد دقاتها فرحا وشوقا .

وبدوا وهم يتدافعون بالمناكب لكي يكون لكل منهم شرف رؤية القادم أولا ، بينما ارتفعت
الزغاريد من كل جانب واختلطت بنغمات الموسيقى التي كانت تصدح بأجمل ألحانها .

وأخيرا وقف القطار وبدا وجه القادم مظلا من إحدى نوافذ عربة البولمان يحيط به
رهط من أصدقائه ومعارفه ، وقد ظهرت على وجهه بسمة تعبر عن أسى المعاني وأرق

الأحاسيس ، وأحاط القوم بالقطار مسرعين وما أن غادره عصام إلى فناء المحطة حتى انهالت عليه التهنأتى والورود وحتى كان مجولاً على قلوب خائفة بالحب والسعادة ، الى أن خرج أو قل خرجوا به من الباب الكبير والازدحام الشديد يكاد يزحق أنفاسه ، وهناك كانت جملة سيارات تقف فى الانتظار لتتقدمها سيارة زوجة الوجه ووصيقتها ... وأسرع عصام الى هذه السيارة فى لفحة وحنين كى يرتى بين أحضان أمه التى كادت تموت من فرط السعادة ... وتصاخ الجميع بينما سرع من قدموا معه الى بقية السيارات التى نهبت الأرض بهم الى السراى العظيمة بين هتاف القوم وصياحهم ... وسمع الجميع للوجه الكبير أن يصاحب ابنة فى سيارة أمه كى يتم هناء قلبه بسعادة اللقاء .

والتفت عصام الى فتاة جميلة حية تحمل باقة جميلة من الزهور قبعت فى ركن السيارة بجانب والدته التى كادت تخفيها من فرط سمتها ، وقال : أه لم لم تقدمينى الى الأنة يا والدتى .

— إنها ... إنها ... صديقتى الصغيرة يا عزيزتى .

واكر الأب ابنه بقدمه وهمس فى أذنه : إنها وصيفة أنك يا عصام وساخبرك بشأنها فى المنزل .

بهت الشاب لما كان يبدو على وجه الشابة من نبل يبعدها عن طائفة الخدم ... لأن الوصيفة فى نظره لم تكن إلا خادمة نظيفة ... وهذه الفتاة ... أجل هذه الفتاة ... بالهوى إنه قد رآها من قبل ... ويشعر أنه يعرفها ... أجل إنه يعرفها ما فى ذلك من شك ... ولا بد له من أن يتذكر أين رآها ... وسبح مع أفكاره فى عالم الماضى فكاد يفسى من حوله ... ولم يستفق إلا على كلمات والده : ها قد وصلنا يا بنى الحبيب الى بيتك القديم .

ونسى الشاب ما كان يفكر فيه بعض الوقت وطغت عليه سعادة الحنين بالعودة الى الوطن عندما شاهدت عيناه المنزل الكبير الذى تربى فيه صغيراً وفارقه يافعا ثم عاد اليه شاباً كاملاً ... ودخل يحف به رهط من الأصدقاء وهو ينظر الى كل جهة من جهات المنزل محب وشغف ويكاد يلمس كل شىء تقع عليه عيناه اللتان امتلأتا بدموع الفرح الى أن وصل الى حجرته فى الطابق الثانى نفس الحجره التى فارقتها قبل السفر ... فاستأذن من الجميع وارتقى على فراشه الناعم فى امتسلام خبيب وراحة قدسية لا يمكن أن تعبر عنها الكلمات .

وطالعه فى غموته القصيرة وجه الفتاة وصيفة أمه ودهش كيف لم يسأل عن اسمها ... إنها كانت تحمل طاقة الزهر له من غير شك ، ومع ذلك لم تجرؤ على تقديمها له لأنه شغل بمعاينة أمه عن النظر إليها . ليته يعرف اسمها كى يتذكر أين رآها ... لأنه لم يشك لحظة فى أن هذا

الوجه أليف لديه ... ان أمه هي التي يمكنها أن تعينه على الذكري ، فليذهب إليها ويسألها عن ذلك .

وغادر فراشه وكان لم يزل بملابس السفر وذهب إلى أمه في حجرتها التي لم يكده يدخلها حتى غادرتها الفتاة الجميلة مسرعة في أدب وأغلقت الباب وراءها . وأسرع إلى أمه يسألها : لم لم تخبريني يا أماه بشئ كبير عن هذه الفتاة ؟ فارتبكت الأم وأجابت : إنه لم يمض على قدومك ساعات يا بني المحبوب ، فلم أجد وقتا بعد للكلام معك في هذا الشأن ، وأنت ترى أنك مازلت بملابس السفر ...

فنظر إلى ملابسه في حجل وقيل جبينها وأجاب : آه — آسف يا والدتي — لقد أنستني فرحة العودة إلى الوطن أن أخلع ملابسي — ومع ذلك فقد رأيت أن آتي إليك لتتضاء بمض الوقت قبل بدء الحفلة .

— انني جد سعيدة يا ولدي العزيز .

وبعد حوار قصير عاد إلى القول — لا أتذكر يا والدتي بأن وجه فتاتك مألوف لدى . وانني لوائق من أنى رأيت من قبل .

— ان هذه هي أقوال أبيك أيضا يا عزيزي ، ومع ذلك فاننا لانعرف الكثير عنها ، فهي رغم أدبها الجم وأخلاقها العظيمة فتاة غامضة لا تكاد تفوه بكلمة واحدة عن ماضيها .

— ماضيا — إذن أنتم لا تعرفون من أين هي :

— ان والدك قد أحضرها إلى من خمس سنوات عند ما كان حاضرا من دورة البرلمان ولها قصة صغيرة مفضلة ، ولولا لطف الله ورحمة والدك لما كان لها الآن أثر في الحياة .

— وكيف ؟ ... خبريني بالله عالمك بكل قصتها .

— أخبرني والدك أنه بينما كان ذاهبا إلى القاهرة في صباح يوم ذهابه إلى البرلمان إذ اقتربت سيارته من ازدحام كبير بالقرب من النيل نخشى أن يكون في الأمر حادثة وفعلا أمر السائق بالوقوف ونزل ليستفسر بنفسه عما حدث . فوجد القوم يحيطون بجسد فتاة ناحلة في ثوب مهلهل مبال بالماء وهم وقوف وكأن على رؤوسهم الطير بعد أن أنقذها بعضهم من الغرق فأسرع والدك أبقاها إلى الفتاة ، ولما تأكد من دقات قلبها البطيئة كأنها على قيد الحياة حملها مع القوم إلى سيارته وذهب بها إلى أقرب مستشفى حيث تركها وترك اسمها وعنوانه هنالك بقا

أن أوصى بما لحتها على نفقته، وعاد إليها بعد أسبوع فوجد أن حالتها تمكنها من مغادرة المستشفى برغم ضعفها الشديد وأراد أن يستعلم من الطبيب عن أقوال الفتاة فعلم منه بأنها باتت طول ليلتها الأولى تهذي بكلمات غير مفهومة ومع ذلك فقد أصرت على عدم الحديث عندما استفاقت، ويخيل إلى أنها تنوى أن تكتم أمرها عن الجميع حتى إن رجال التحقيق قد حاروا في سؤالها أياما، وليس لديها من أقوال غير أنها وحيدة ولا أهل لها وقد زهدت الحياة فحاولت التخلص منها .

وصحبها والدك إلى هنا بعد إلحاح، وبعد أن عرفها بأنها ستكون في منزله كإبنة له، ورفضت الفتاة أن تعيش عائلة بغير عمل فسمحت لها بأن تكتب لى بعض خطاباتي وأن تساعدنى فى بعض أعمالى رغم كثرة الخدم كما تعلم ، ويعلم الله أنى أعاملها كما لو كانت ابنة لى . فلا ألبسها إلا أعلى الثياب ولا أطعمها إلا أشهى الطعام .

ورغم هذه السنوات الخمس فالفتاة لم تظهر استعدادا للكلام عن ماضيها مطلقا . وكل ما فهمته منها أنها فقدت أبويها وليس لها أقارب على وجه الحياة، وشعرت بأنها فتاة تيسة فلم أتكلم معها فى هذه النقطة بعد ذلك .

— وما اسمها يا أماء ؟

— فردوس يا عزيزى ويخيل لى أنه الشىء الوحيد الذى صارحتنى به دون أن أسألها عنه . وأظنها ذكرته دون تفكير بحسب العادة .

— فردوس ؟ ! لقد تذكرتها الآن تماما يا أماء . وإذا لم تخطى ، عيناى فانى رأيت هذه الفتاة بذاتها فى القاهرة عندما كنت أقيم مع خالى أثناء دراستى الثانوية ، فقد كانت تقيم فى منزل كبير يواجه منزلا ، وكنت أراها من حجرتى أثناء مذاكراتى وهى جالسة بجانب نافذة صغيرة بفرقة منعزلة فى سطح ذلك المنزل الذى كان منزل والدها ، وكان الجميع يشيعون الكثير عن قوة هذا الوالد وظلم زوجته للفتاة المسكينة التى كانوا يسمونها حينئذ الفتاة السجينة .

وصمت قليلا ثم قال : أجل إنها هى يا أماء لارىب فى ذلك وإنى لدهش كيف ألت بها المقادير فى منزلنا وأسائل النفس عما فعل والدها العاتى بعد فرارها .

فاجابت الوالدة — إنك تدهشنى يا عصام بأقوالك هذه ؛ وعلى كل حال دع هذه المسألة لى فانى سأؤكد منها حتما غدا أو بعد غد إن شاء الله بعد انتهاء حفلة الليلة .

— على أن تعدينى بعدم مفاحتها فى هذا الأمر الليلة يا أمى العزيزة فانى أوتر أن تكون تلك البائسة مبهتجة بالحفلة مثلنا .

— أعدك بذلك يا بني .

— شكرا يا أماه ، والآن أتركك قليلا لإبدال ملايبي .

— اذهب مصحوبا بسلامة الله يا عزيزي .

ومضى الوقت سريعا واستعد الجميع لاستقبال الضيوف الذين قد أتوا من مختلف البقاع لمجاملة الباشا بعودة نجله الوحيد ، وظل الخدم في غدو ورواح والوفود تترى على المنزل من آن لآخر ، بينما امتلأت حديقة المنزل المترامية الأطراف بمئات السيارات التي كانت تبرىق بألوانها الزاهية تحت قوة الأنوار المتلاطلة بالحديقة وفوق الأشجار ، إلى أن التأم أخيرا عقد المدعويين ، فامتلا بهم المنزل حياة ونشاطا ، ومضى بعض الوقت في رقص وغناء ، وأخيرا أطلقت الحرية للمدعويين يتنقلون في أرجاء المنزل كما شاءوا ، فهرع الشباب منهم ، هذا إلى الحديقة وذلك إلى الشرافة كل كما شاء وما يشاء .

أما في الصالون فقد اجتمع الشيخ في وقارهم المعهود يتنادرون بأقاصيص صباحم وأيام فتوتهم ، بينما جلس كبار السيدات ينصتن لأحاديثهم متحسرات على ربيع العمر الذي ولى .

وعندئذ فقط حدثت نهاية قصتنا هذه ، وذلك عند ما دخل عصام أخيرا إلى هذا الجمع الملتئم بصحبة والدته ووصيفتها التي كانت ترفل في أعلى الثياب وأجملها ، ووجهها يتلا لأبشرا وعيناها تسعان فرحا واطمئنانا .

وتأخر عصام قليلا لتتقدم والدته ، وما أن تبعها إلى الأمام خطوة حتى وقف ينظر إلى أحد الأشخاص مملقا ، ثم التفت بمحركة لاشعورية إلى الفتاة التي كان يجيبها بجسده فكانت هذه الفتاة كافية للفتاة لأن تنظر إلى الأمام وترى ما رآه .

ولم يلبث الجميع أن فوجئوا بصريختين حادتين إحداهما من أحد كبار المدعويين والأخرى من فردوس الفتاة البائسة .

ولم ترد هاتان الصريخان عن أبي ... ابنتي ...

ودهش الجميع بهذا إلا عصام ووالدته وظلوا برهة ساعمين وكأن على رؤوسهم الطير... وما لبثوا أن استيقظوا على صوت عصام وهو يصيح :

— فردوس ، فردوس ، لقد اختفت يا أماه .

وهرع كالمجنون يتابع الفتاة المنكودة التي أسرعت إلى النهر الصغير وقبل أن يباغته كانت قد ألقت بنفسها بين أمواجه الصاخبة مرة أخرى .

وقذف بنفسه يتبعها ، وعاد بها إلى الشاطئ ، وهو يبكي كطفل فقد أمه منه ، وركع على الرمال الباردة ممددا جسد الفتاة أمامه في خوف ولوعة ، وظل بعض الوقت يحاول بالتنفس الصناعي أن يعيد إليها الحياة ولكن ما هذا الذي يسمع ؟

كانت تملأ أذنيه أصوات بعيدة كأنها تأتي من السماء تشبه أصوات جمع من الأطفال ينشدون ويحتفلون بزفاف عروس ، وكانت ضججة يرتفع من بينها في كل مقطع صوت ضعيف هادىء تصحبه قيثارة حزيننة النغم منسجمة اللحن ، وما لبث النغم أن توف قابلا عند ما فتحت الفتاة شفتيها قائلة في خفوت :

— أماه ، أحقا ستأخذيني إليك ؟ . أجل خذيني ، وضميني إليك بقوة ثم ضمي ذراعيك حولي ، ورأسي على صدرك ، كم أنت رحيمة يا أماه .



وتوقف الحمس ثانيا ليعود نشيد الأطفال في السماء ، وقد انضم إليه صوت جديد مرحبا بقادم جديد .

سمير

تم طبع هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
في يوم ٢٣ من ذى الحجة سنة ١٣٦٢
(٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٣)

مدير المطبعة الأميرية

محمد بكري